
روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
الجولة الأخيرة

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الجولة الأخيرة

- ماذا يفعل (نور) ورفاقه ، فى مواجهة كل الأخطار ، التى يحاربهم بها (ابن الشيطان) ؟
- كيف يواجه فريق علمىّ ، عدوًّا ، يتجاوز كل حدود العلم ؟..
- تُرى .. من ينتصر فى الجولة الأخيرة ، (نور) وفريقه ، أم (مبعوث الجحيم) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف تكون النهاية فى (الجولة الأخيرة) .

٧٥



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الاحتلال



١ ــ أكثر من فَخّ ..

الرُّعب ..

ذلك هو الشعور ، الذى تشارَكَ فيه كل أفراد فريق (نور) ، فى تلك الليلة ، التى تبدأ بها الأحداث هذه المرَّة ..

الجميع حملوا نفس الشعور ..

وفى نفس اللحظة ..

كلهم حملوه فى مواجهة خطر مخيف ..

خطر يتجاوز كل قواعد العلم ، الذى نشأ فريقهم لحمايته ..

خطر أتى من أعمق أعماق الجحيم ..

خطر شيطانىّ ..

الجميع فى نفس اللَّحظة ، وفى ثلاثة أماكن متفرّقة ، كانوا يتطلَّعون إلى عيون ناريَّة ..

عيون يطلّ منها لهيب الجحيم ..

عيون شيطان ..

الجميع فى نفس اللحظة ، دارت فى رءوسهم فكرة واحدة ..

كيف بدأ الأمر ؟!..

كيف ؟!..

* * *

البداية كانت أسطورة ..

أسطورة قديمة قدم الدهر ..

عتيقة كالأزل ..

أسطورة أهملها تاريخ الأساطير ، حتى أنها انزوت فى النهاية ، وانكمشت فى ركن مُهْمل ، فى كتب الأساطير ..

أسطورة تقول إن الشيطان قد هبط إلى الأرض ، خلف (آدم) و (حواء) ونسلهما ، بعد أن نجح فى إغرائهما بتناول الثمرة المحرَّمة ، وتسبَّب فى طردهما من الجنة ..

هبط ليواصل معركته مع نسلهما ..

لينتصر ..

ليسُود ..

وحقَّق الشيطان انتصاره الأوَّل ، عندما أغرى (قابيل) بقتل شقيقه (هابيل) ..

وعرف نسل (آدم) القتل ..

وعرف الشرور ..

وَعَبْرَ الأجيال ، راح الشيطان يبثُّ شروره ، ويُوَسْوِس بالفساد ، لكل من وجد فى قلبه مَرضًا ..

حتى حانت لحظة ، تمنَّى فيها الشيطان لو كان إنسيًّا ..

لحظة حسد فيها البشر ؛ لأنهم يملكون فرصة التَّوْبة ..

وفى تلك اللحظة ، قرَّر أن يكون له ولد من بينهم ..

وفى صورة بشريَّة ، هبط الشيطان إلى الأرض ، وتمثَّل لواحدة من بنات (حوَّاء) ، وأغراها بحبِّه ، فعشقته ، وتزوَّجته ..

وأنجبت ابنها وابنه ..

(ابن الشيطان) ..

نصف آدمى ونصف شيطان .

له ملامح بشر ، وصفات شيطان ..

خالد كأبيه ..

سافل كبنى جنسه ..

حقير كالشياطين ..

وعَبْرَ العصور والتاريخ ، راح (ابن الشيطان) ينتقم من بنى البشر ..

وحقق له الصراع عشرات الانتصارات ..

وكتب عليه مئات الهزائم ..

وفى آخر معاركه على سطح الأرض ، منذ ما يقرب من نصف القرن ، تصدّى له جدّ (نور) ، وكشف نقطة ضعفه ، وهزمه ..

وعاد (ابن الشيطان) إلى جحيم أبيه وقومه ، وترك خلفه قرصًا صغيرًا ، يحوى نقوشا عجيبة ، هى اسم الشيطان ، بلغة أهل الجحيم ..

تلك اللغة المجهولة ، التى لا يعرفها قاموس أو مرجع ، والتى لا يقرؤها ، ولا ينجح فى قراءتها إلا التعساء والمجرمون ..

وهكذا بدأت معركته مع (نور) ..

* * *

المعركة الحقيقية بدأت منذ آلاف السنين ، عندما كان الشيطان الابن يحمل اسم (ست) ، وأكبر أجداد (نور) يحمل اسم (أوزيريس) ، فى تلك الملحمة الشهيرة ، التى نقلها إلينا تاريخ أجدادنا الفراعنة ..

وفى تلك المعركة اندحر (ست) ، إله الشر ، ونال هزيمة نكراء ، تردد صداها طويلا عبر الأجيال ..

وكالعنقاء ، ذلك الطائر الخرافى ، عاد الشيطان الصغير إلى الأرض ، بعد أن قرأ آدمىّ ملعون اسم أبيه ، المنقوش على قرص اللعنات ..

وظلّ طيلة عمره يقاتل نسل (أوزيريس) ، حتى هزمه جدّ (نور) ، أحد أحفاد (أوزيريس) ..

وذات ليلة من ليل القرن الحادى والعشرين ، بعد نصف قرن من هزيمة (ابن الشيطان) ، قرأ مهندس جيولوجى اسم أبيه ، بلغة الجحيم ، بعد أن عثر رجاله على القرص الملعون ، فى إحدى حفريات البحث عن البترول ..

وعاد (ابن الشيطان) إلى الأرض ..

وفى تلك الليلة نفسها ، رأى (نور) روح جدّه فى حلمه ، ترشده إلى رسالة مخيفة فى منزل الجدّ الريفىّ ..

وذهب (نور) و (سلوى) إلى هناك ..

وعثرا على الرسالة ، التى تحوى رسمًا للقرص بنقوشه ، وعبارة تقول : « النار وحدها تغسل الشرور » ..

وبعدها بدأ الشيطان الابن انتقامه ، وبأبشع صورة ..

وفى منزل (نور) ، راحت صنابير المياه تلقى الدم ، بدلًا من الماء ..

الأثاثات انبعثت فيها حياة زائفة ..

والتفَّ الرُّعب حول كل شىء ..

وأصيبت (سلوى) ، وفقدت (نشوى) وعْيَها ..

ولجأ (نور) إلى الدكتور (محمد حجازى) ، يسأله المشُورة، كرجل شديد الاهتمام بعلوم ما وراء الطبيعيات ..

وفى منزل (نور) ، جرت جلسة لتحضير الأرواح ، بواسطة الوسيط الروحانىّ الأشهر ، الدكتور (عبد الجليل) ..

وفى تلك الجلسة ، رأى (نور) والدكتور (حجازى) والدكتور (عبد الجليل) الأهوال ..

لقد انشقت الأرض ، وبرزت منها أيدٍ ماردة بشعة ، راحت تعتصر الجميع ..

وهاجمهم كيان أسود رهيب ، التهم الدكتور (عبد الجليل) ..

ثم سقط (نور) والدكتور (حجازى) فى كهف شيطانىّ رهيب ، ليس له من مخرج

وفى نفس الوقت ، كان الشيطان الابن قد حقن بعضًا من دمائه ، فى عروق (نشوى) ، بواسطة معاون آدمى ، وهو

صحفىّ فاشل خائن ، يُدعَى (صفوت) ، حدَّد له الشيطان الابن مهمَّة واحدة لا غير ..

وهكذا انتهت الجولة الأولى لصالح الشيطان الصغير .. لصالحه تمامًا .. (*)

* * *

وفى الجولة الثانية ، نجح (نور) والدكتور (حجازى) فى الخروج من الكهف الشيطانىّ ، وعلم (نور) بما أصاب ابنته ، التى تحوَّلت إلى نصف شيطانة ، تمتلك قوّة رهيبة ، لا قِبَلَ للبشر بمواجهتها ..

وكان على (نور) أن يبحث عن مساعدة أكثر قوّة ، على الرغم من أن (عبد الجليل) قد عاد حيًّا ..

ولجأ (نور) ، بعد استشارة الدكتور (حجازى) ، إلى الدكتور (عزيز) ، أكبر علماء ما فوق الطبيعيات ، علمًا وسنًّا ..

وهنا فقط أدرك (نور) مَنْ يقاتل ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. (الجزء الأوّل) .. المغامرة رقم (٧٢)

لقد أخبره الدكتور (عزيز) باسم عدوه ، وأسطورته ، كما تعرَّف القرص الملعون ، وأخبر (نور) والدكتور (حجازى) بمعنى النقش الجهنمىّ ، وأضاف إلى ذلك أنه كان صديقًا لجدّ (نور) ، الذى هزم الشيطان الابن قديمًا ..

ولكن الدكتور (عزيز) لم يكن يعرف نقطة ضعف (ابن الشيطان) ..

وعلى الرغم من ذلك ، فقد منح (نور) قنينة صغيرة ، تحوى ماءً مباركًا ، من بئر (زمزم) ، وطلب منه حقنها فى دماء ابنته ، فتتخلّص تمامًا من الدماء الشيطانية ، على أن يتم ذلك قبل الفجر ..

وفى هذه الأثناء ، كان الشيطان الابن قد اختطف (نشوى) ، وحملها إلى منزل الجدّ ، حيث لحق به (نور) ..

وهناك كان على (نور) أن يقاتل ابنته ، التى يسيطر عليها الشيطان تمامًا ..

وكان الصراع مريرًا حقًّا .. (*)

* * *

(*) راجع الجزء الثانى (مبعوث الجحيم) .. المغامرة رقم (٧٣) .

وفى بداية الجولة الثالثة ، هزم (نور) (ابن الشيطان) ، واستعاد ابنته ..

لقد استنتج نقطة ضعف عدوّه ..

لقد كانت النار ..

صحيح أن الشيطان الابن من نار ، ولكن النار تهزمه وتدحره ..

تمامًا مثلنا ..

نحن من طين ، ولكن الطّين يلوّثنا ويؤلمنا ..

وانهزم الشيطان الابن ..

واحترق ..

وعندما كان يتلاشى ، هتف بعبارة واحدة ..

« سأعود » ..

وقبيل الفجر بلحظات ، حقن (نور) ابنته بماء زمزم ، وأنقذها من دماء الشيطان ..

وتلاشى الشيطان الصغير ، وترك خلفه ذلك القرص المنقوش الملعون ، الذى نقله (نور) إلى إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، ليبحثوا عن وسيلة لتدميره ..

ولكن القرص كان منيعًا حقًا ، وما من وسيلة أرضية لتدميره ..

وبينما كان (نور) يقيم حفلًا فى منزله ، احتفالًا بشفاء زميله (رمزى) و (محمود) ، من إصابتهما فى مغامرة سابقة(*) ، كان (صفوت) ، ذلك الصحفىّ الخائن العميل يقتحم إدارة البحث العلمىّ ، مزوّدًا برداء شيطانىّ منيع ، وسلاح مدمِّر رهيب ..

واستعاد صنيعة الشيطان الابن ذلك القرص الملعُون ، بعد أن ترك خلفه قدرًا مخيفًا من التخريب والدّمار ..

وفى منطقة نائية ، بدأ صفوت طقوس إعادة الشيطان الابن ..

وعاد ..

عاد الشيطان الصغير إلى الأرض ، ليواصل انتقامه وشروره ..

وكان أوّل ما فعله هو أن قتل (صفوت) ..

قتل الآدمى ، الذى أعاده إلى الحياة ..

(*) راجع قصّة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) .

وبدأ الرُّعب مرّة أخرى ..

وتحوّل حفل (نور) إلى ملحمة رُعب رهيبة ..

مقاتل رومانىّ قديم ، عاد كهيكل عظمىّ لينتقم من (نور) ، الذى هزمه فى حياة سابقة ..

الجميع انتقلوا إلى جزيرة نائية ، فى قلب المحيط ..

سرطانات بحر بأعداد هائلة ، كادت تلتهمهم جميعًا ..

ثم انتهى كل شىء بغتة ..

وأدرك الجميع أن الشيطان الابن قد عاد ..

وأنها الجولة الأخيرة حتمًا هذه المرّة ..

وافترق الجميع ، بعد أن أخبرهم (ابن الشيطان) أنه سيقتلهم جميعًا ، قبل أن ينهى صراعه مع (نور) ..

وفى تلك الليلة ، التى نتحدّث عنها ، وبعد أقل من ساعة ، من انصراف الجميع من منزل (نور) ، بدأ الشيطان الابن انتقامه ..

كان الدكتور (حجازى) والدكتور (عزيز) فى طريقهما إلى منزل الأخير ، الذى يقع فى منطقة قديمة مهجورة ، لا يقطنها سواه ، على مشارف مدينة (القاهرة) القديمة ، عندما تعطّلت سيّارة الدكتور (حجازى) ..

وعندما هبط ليفحصها ، أحاطت بهما قطعان الذّئاب ، وكلها كانت تحمل عينى الشيطان الابن ..

تلك العينان الملتهبتان ..

وفى نفس اللحظة كان (رمزى) و (محمود) يواجهان تِنّينًا أُسطوريًا مخيفًا ، ينفث من بين فكَّيه النيران ..

وكانت له نفس العينين ..

عينا الشيطان ..

أمّا (نور) و (سلوى) و (نشوى) ، فقد كانوا يواجهون قطعانًا لا حصر لها من الفئران ..

فئران بالمئات ، برزت من كل مكان ..

وكلها لها نفس العيون الشيطانيّة الرّهيبة ..

وكان من الواضح أن الشيطان الابن قد قرّر إنهاء المعركة كلها ..

سيضرب الجميع ضربة واحدة ..

نعم ..

كانت هذه هى خُطّته ..

أن تنتهى المعركة على نحو مبهر ، يعيد إليه كرامته وهيبته بين بنى جنسه من الشياطين ..

كانت هذه معركته الأخيرة ..

وجولته الأخيرة(*)

* * *

(*) راجع الجزء الثالث (الصراع الجهنمى) .. المغامرة رقم (٧٤)

٢ ـ الهجوم ..

تجمّد الدكتور (حجازى) فى مكانه ، وهو يدير عينيه بين عشرات العيون النارية ، والأنياب البارزة ، لقطيع الذئاب ، الذى يحدّق فيه على نحو وحشى مخيف ، فى حين لم يلبث الدكتور (عزيز) أن طرد مخاوفه ورُعبه ، ونفضهما جانبًا ، مع ذلك الفُضول العلمىّ الشديد ، الذى سيطر على كل حواسّه ، وهو يراقب ذلك القطيع من الذئاب ، الذى سيطر عليه الشيطان الابن تمامًا ، وغمغم فى اهتمام ، وهو يفتح زجاج السيّارة المجاور له :

ـ من المثير حقًّا أنه يستطيع السيطرة على كل هذا العدد .

ضغط الدكتور (حجازى) أسنانه ، وهو يقول فى خُفوت وتوتُّر :

ـ أغلق زجاج السيّارة يا دكتور (عزيز) ، وكُفَّ عن تساؤلاتك العلمية هذه ، فنحن نتعرَّض لخطر الموت .

أغلق الدكتور (عزيز) زجاج السيّارة فى بطء وحذر ، وهو يقول :

ـ ألا تحمل سلاحًا ؟

تمتم الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ــ إننى أحمل مسدَّسًا ليزريًّا ، ولكنه لن يفيد ، فمهما بلغت براعتى ، فلن أصيب سوى ثلاثة أو أربعة من تلك الذئاب ، وبعدها ستنهشنى مخالب الباقين وأنيابهم .

تمتم بهذا ، وهو يتحرَّك فى بطء نحو باب السيارة ، حتى يستطيع الاحتماء داخلها ، قبل أن تهاجمه الذئاب ..

ولكن جسمه انتفض فجأة فى رُعب ، عندما سمع الدكتور (عزيز) يهتف فى ذُعر :

ــ احترس من خلفك .

استدار الدكتور (حجازى) فى حركة حادَّة عنيفة ، والتقت عيناه بتلك العينين الناريَّتين لذئب ضخم وحشىّ ، ينقضُّ عليه من الخلف ..

وإثر حركته الحادَّة ، بدأ الهجوم ..

وانقضَّت الذئاب كلها فى آن واحد ..

* * *

بدا الزمن ، بالنسبة لـ (رمزى) و (محمود) ، وكأنما قد توقَّف تمامًا ، أو لم يَعُد له وجود ، وهما يحدِّقان فى ذلك التِّنين الأسطورىّ ، الذى يقف أمامهما متحفِّزًا إلى أن غمغم (محمود) فى رُعب :

ــ أوَهْمٌ هو أم حقيقة يا (رمزى) ؟

أجابه (رمزى) فى توتُّر رهيب :

ــ لو سألتنى رأيًا منطقيًّا ، فهو حتمًا نوع من الوَهْم ، إذ أن التِّنين كائن أُسطورىّ خرافىّ ، أمَّا لو أنك تسألنى شعورى ، فهو حقيقة لا ريب .

تراجع عُنُق التِّنين الطويل ، فى تلك اللحظة ، وصدر من خلفه فحيح مخيف ، أعقبه انطلاق لسان من اللهب ، لفحت حرارته وجهى : (رمزى) و (محمود) ، فهبَّ الأوَّل من مقعده ، وهو يهتف :

ــ إنه حقيقة .

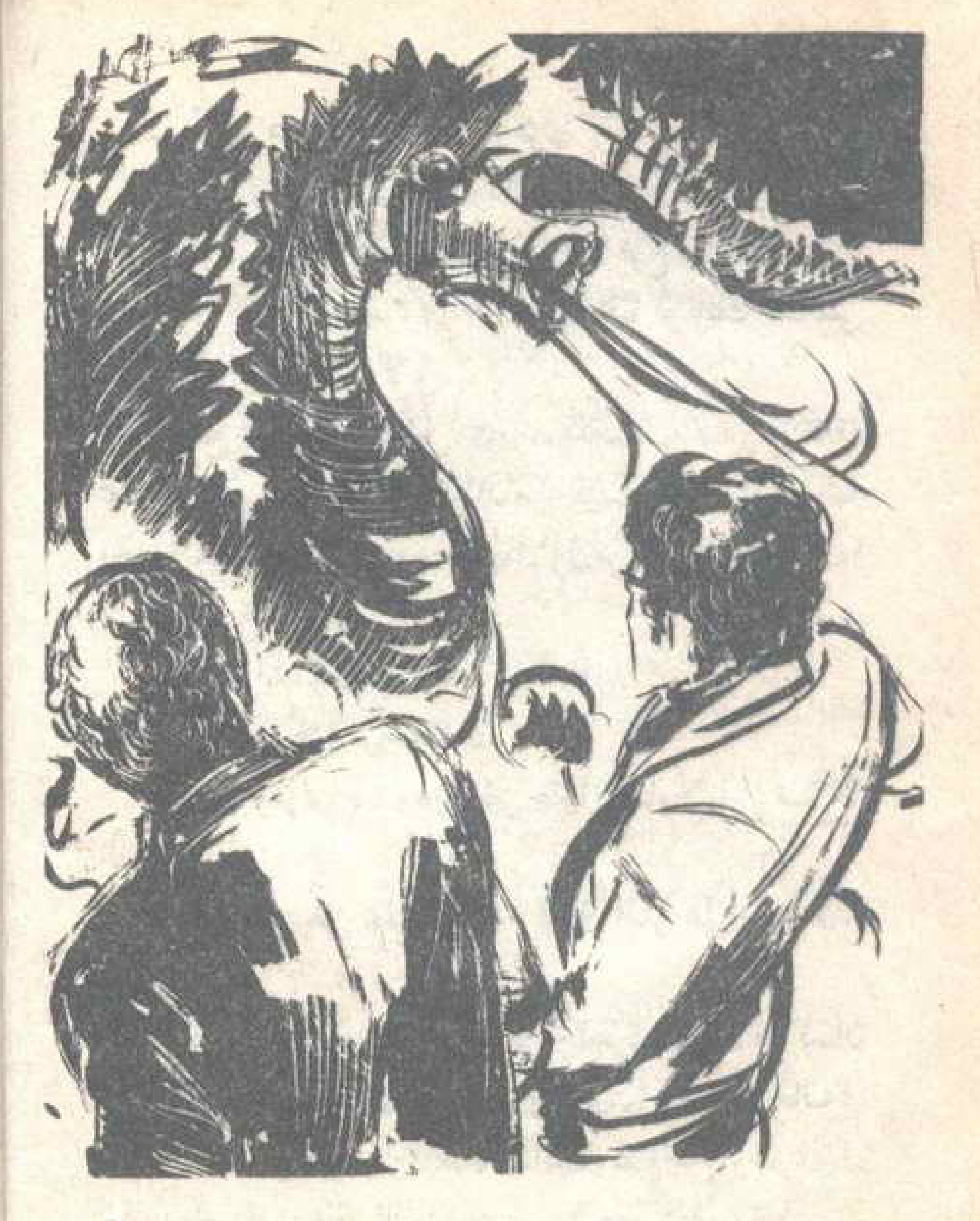
تراجع (محمود) فى رعب ، هاتفًا :

ــ يا إلهى !! .. رُحماك !!

صاح (رمزى) ، وهو يقفز جانبًا ، محاولًا بلوغ سلاحه اللِّيزرىّ :

ــ تُرى .. هل تفلح نظرية إطلاق النار على العين هذه المرَّة ؟

ولكن فحيحًا جديدًا انطلق من حنجرة التِّنين ، مع لسان رفيع من اللهب ، أصاب مسدَّس (رمزى) فى دِقَّة ، وأحاله فى لحظة واحدة إلى كومة من المعدن الذائب ، فتراجع (رمزى) فى ذُعر ، وحدَّق فى عينَى التِّنين الملتهبتين ، فى حين هتف (محمود) :



تراجع عُنق التنين الطويل ، فى تلك اللحظة ، وصدر من خلفه فحيح مخيف ..

ــ ماذا نفعل الآن ؟

وقبل أن ينطق (رمزى) بحرف واحد ، كان التنين ينفث لسانًا حادًا من اللهب ، نحو هدف جديد ..

وفى هذه المرَّة كان الهدف هو (رمزى) ..

* * *

صرخت (سلوى) فى رُعب ، وشهقت (نشوى) فى ارتياع ، على حين انعقد حاجبا (نور) فى سخط وتوتُّر ، والثلاثة يحدّقون فى عيون مئات الفئران ، التى برزت فى كل ركن من أركان المنزل ، وراحت تتطلَّع إليهم بعيونها الملتهبة فى وحشية ، وقد بدت أنيابها الحادَّة الصغيرة كمئات الإبر السَّامَّة ، التى تتحفَّز للقفز فى الوجوه ..

وفى رُعب هائل ، تشبَّثت (نشوى) بأبيها ، وهى تقول :

ــ أبى .. إنهم سيلتهموننا .

امتدَّت يد (نور) نحو مسدَّسه اللّيزرىّ فى بطء وحَذر ، وهو يقول فى توتُّر بالغ :

ــ أظنهم سيحاولون .

تشبَّثت به (سلوى) بدوْرِها ، وهى تقول فى رُعْب :

ــ وما الذى سيمنعهم من التهامنا لو حاولوا يا (نور) ؟ إنهم قطعان لا حصر لها ، وحتى لو أطلقت عليهم مسدَّسك اللّيزرىّ ، فسينضب مخزن طاقته ، قبل أن تقتل عُشرهم ، بفرض وجود الوقت الكافى لتفعل .

التقط مسدسه الليزرى ، وهو يقول فى حزم :
ــ سأكون قد قاومت على الأقل .
بكت (نشوى) فى انهيار ، وهى تقول :
ــ لا يمكننى تصوُّر ذلك .. لا يمكننى تخيُّل أن تنتهى حياتى فى معدة فأر حقير .
هتفت (سلوى) فى ألم ومرارة :
ــ لا تقولى ذلك يا (نشوى) .. لا تذكريه .
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :
ــ لن أسمح لتلك الحيوانات القذرة الصغيرة بافتراسنا ، حتى لو اقتضى الأمر أن أقتلكما ، قبل أن تمس أنيابها جسديكما .
وفجأة ، بدأ أحد الفئران يُطلق صوته الحاد الرفيع ، ثم تبعته عدة فئران أخرى ، وأخرى .. وأخرى ، حتى أصبح المنزل كله يموج بتلك الأصوات الحادَّة ، التى بدت هادرة مع اجتماعها ، مثيرة للأعصاب ، فصرخت (نشوى) ، وهى تحاول إغلاق أذنيها بكفَّيها فى قوة :
ــ كَفَى .. كَفَى .. لم أعُد أحتَمِل .
ولكن الصوت الرهيب كان يتسلَّل إلى عظامها ..
إلى خلاياها ..
إلى عقلها ..

وانهارت (سلوى) بدَوْرِها ، وهى تهتف فى مرارة :
ــ إنها النهاية يا (نور) .. إنها النهاية .
صرخ (نور) :
ــ كلَّا ..
ثم أطلق أشعة مسدَّسه اللّيزرية على أقرب الفئران إليه ..
وسقط الفأر صريعًا ..
وتعالى الصَّوْت الرهيب المخيف ..
وسقط فأر ثان ..
وثالث ..
ورابع ..
وخامس ..
وفى كل مرَّة كان الصوت الرهيب يرتفع ويرتفع ..
ثم فجأة توقَّف الصوت دفعة واحدة ، وساد سكون رهيب ، قطعه (نور) وهو يغمغم فى حَيْرَة :
ــ ماذا حدث ؟
وكأنما كانت كلمته الحائرة هى إشارة البدء ، فلم يكد يتمّ حروفها ، حتى بدأت الفئران هجومها فى آن واحد ..
وزحف نهر الموت ..

* * *

٣ ـــ القتال ..

كانت انقضاضة الذئاب مصحوبة بزئير قوىّ ، ارتجّت له المنطقة ، وانتفضت له جدران البيوت القديمة المتهالكة ، وتهاوى له قلبا الدكتور (حجازى) والدكتور (عزيز) رعبًا ، وصرخ الأخير ، وهو يشاهد ذلك الذئب الضخم ينقضُّ على الدكتور (حجازى) :

ـــ يا إلهى !!.. هل ستسمح للشيطان الابن بهزيمتنا ؟

أما الدكتور (حجازى) ، فقد لعن تلك الكمية الزائدة من الشحوم تحت جلده ، وهو يقفز جانبًا ، وشعر بمخالب الذئب الحادّة تمزّق كم سترته ، ويبلغ بعضها لحم ذراعه ، قبل أن يتجاوزه الذئب ، ويرتطم بمقدّمة السيّارة ، فى نفس اللحظة التى قفز فِيهَا ذئب آخر ، نحو الدكتور (حجازى) ، الذى أسرع يحاول القفز داخل السيّارة ، وانحنى فى رُعب ، ليعبُر الذئب الثانى فوق رأسه ، قبل أن يلقِى جسده داخل السيّارة ..

وقبل أن يُغلق باب السيّارة ، انقضَّ ذئب ثالث على ساقه ، وغرس أنيابه الحادّة فيها ..

وأطلق الدكتور (حجازى) صرخة ألم ورُعب رهيبة ، رَدَّدت المنطقة الخاوية صداها فى قوّة ، قبل أن يصرخ الدكتور (عزيز) :

ـــ مسدّسك اللّيزرىّ .. استخدم مسدّسك .

وبسرعة ، التقط الدكتور (حجازى) مسدّسه اللّيزرىّ من جيب سترته ، وأطلق أشعته دون تفكير على رأس الذئب ، الذى أطلق عواءً رهيبًا ، قبل أن ينتزع أنيابه من ساق الدكتور (حجازى) ، ويدور حول نفسه ، ثم يسقط جثة هامدة ..

وأغلق الدكتور (حجازى) باب سيّارته فى إحكام ، ثم جلس يلهث ويتأوّه ، على حين بدا له وقع أرجل الذئاب كطلقات النيران ، وهى تتقافز فوق سطح السيارة ، وتخمش جسمها بمخالبها ، فى حين برزت وجوه ذئاب أخرى أمام الزجاج الأمامىّ للسيّارة ، وهى تكشّر عن أنيابها ، وتزمجر فى وحشية ، والزَّبَد يتساقط من بين شِدقَيْها ، واللّهب يَضوِى فى شراسة من عيونها ..

وغمغم الدكتور (عزيز) فى ارتياع :

ـ. ماذا سنفعل ؟!. إنه يهيطر عليها سيطرة تامة .

زفر الدكتور (حجازى) فى قوّة ، وهو يغمغم :

ــ هل تسألنى ؟!

ثم عاد يضغط أزرار إدارة المحرّك فى عصبيَّة ، قبل أن يستطرد :

ــ لقد توقَّف ذلك المحرّك اللعين تمامًا ، وهذه أوّل مرّة يحدث فيها هذا ، بالنسبة لتلك السيارات الصاروخيـــة الحديثة ، التى تعمل بواسطة نظائر الراديوم المشعة(*) .

غمغم الدكتور (عزيز) :

ــ لا تنس أن الذى يدير المعركة مخلوق يتجاوز كل العلوم التى نعرفها .

لوّح الدكتور (حجازى) بكفِّه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ دَعك منه الآن ، وانظر ما الذى تفعله هذه الذئاب .

(*) النظائر : أنواع لعنصر ما ، تتطابق معه فى النشاط الكيميائى ، وتختلف بعضها عن بعض فى الوزن الذرىّ ، ومن أكثر أنواعها شيوعًا الكلور ، حيث يتكوّن من نظيرين ، وزن أحدهما الذرىّ (٣٥) ووزن الآخر (٣٧) .

عقد الدكتور (عزيز) حاجبيه الأشيبين الكثَّين ، وهو يتطلَّع إلى تلك الذئاب ، التى ابتعدت عن السيارة ، ووقفت على هيئة صفٍّ منتظم أمامها ، وغمغم بِدَوْرِهِ فى مزيج من الحَيْرَة والتوتُّر :

ــ حقًّا !.. ما الذى تفعله تلك الذئاب ؟!

وفجأة ، أتاهما الجواب ..

لقد انفصلت الذئاب ، واحدًا بعد الآخر ، عن الصَّفِّ ، وراح كل منها يعدُو نحو السيَّارة ، ثم يقفز معتليًا مقدِّمتها ، ويلقى بجسده كله على زجاجها ، ثم يعود إلى الصَّفِّ ، حيث يلقى آخر جسده على الزجاج ..

وصاح الدكتور (عزيز) فى رُعْب :

ــ ماذا يفعلون ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يلتصق بمقعده فى هلَع :

ــ إنهم يحاولون تحطيم الزجاج ، ليدلفوا إلى السيَّارة ، ويفترسونا .

امتقع وجه الدكتور (عزيز) ، وهو يسأله :

ــ وكم سيحتمل الزجاج ؟

هَزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :

— لست أدرى .. إنه من نوع مقاوم للكسر ، ولكنه لن يحتمل تلك الضربات المتتالية طويلًا .

انعقد حاجبا الدكتور (عزيز) فى شِدَّة ، وهو يقول :

— أتعْنى أن هذه الحيوانات تستطيع الانتصار ؟

غمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر بالغ :

— إننى أرتجف هلعًا ، كلما تصوَّرت ذلك .

هتف الدكتور (عزيز) فى صرامة :

— ولكننا لن نستسلم .

غمغم الدكتور (حجازى) فى عصبيَّة ، وهو يتابع انقضاضات الذئاب المتتالية على زجاج السيَّارة :

— وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

قال الدكتور (عزيز) فى حزم :

— إنك تملك مسدسًا ليزريًّا .. أليس كذلك ؟

هتف الدكتور (حجازى) فى حَنَق :

— وفيمَ يفيدنا ذلك ؟

ابتسم العجوز فى خُبث ، وهو يقول :

— قد لا يفيدك ، عندما تكون خارج السيَّارة ، ولكنك الآن تحتمى داخلها ، ويمكنك أن تستغل أهم خواص اللّيزر ،



وراح كل منهما يعدُو نحو السيَّارة ، ثم يقفز متخطيًا مقدمتها ، ويلقى بجسده كله على زجاجها ..

ألا وهى أنه عبارة عن شعاع ضوئى ، يسير فى خطوط مستقيمة(*)

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يغمغم :

— ماذا تعنى ؟

أشار الدكتور (عزيز) إلى المبانى المتهدّمة حولهما ، وقال :

— انظر .. ستجد حولك أطنانًا من الأخشاب القديمة الجافة ، التى شارفت البلى ، والتى لن يهتم أحد باحراقها ، بالإضافة إلى أن أشعة اللّيزر يمكنها أن تمضى عَبْرَ الزجاج ، دون أن نغادر السيّارة ، وتصيب أهدافها فى إحكام .

(*) ليزر : كلمة (ليزر) (Laser) ، هى اختصار الحروف الأولى لمعنى الليزر بالإنجليزية ، وهو عبارة نصها :

« Light Amplification Using Stimvlated emmesion of Radiation ».

ومعنى هذه العبارة هو : « التكبير الضوئى ، باستخدام حزمة إشعاعية مستحثّة » .. ولقد نشأت فكرة الليزر من نظرية تنبأت بها ميكانيكا الكم ، وتقول إنه من الممكن أن تتضاعف شدة الضوء (الامتصاص السالب) ، إذا ما عبر ياقوتًا ، أو خليطًا من غازى (الهليوم) و (النيون) ، فينطلق فى خطوط مستقيمة ، دون أن يتفرّق أو يتشتت .

تألّقت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

— تقصد أن ......؟

قاطعه العجوز فى حزم :

— بالطبع .. هذا ما أقصده .. هيّا .. أطلق أشعتك يا رجل ، ودعنا نُحِطْ تلك الحيوانات بدائرة من النيران .. هيّا .

تهلّلت أسارير الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. أنت على حقّ .

وصوّب مسدّسه نحو إطار خشبى قديم ، على بعد أمتار منه ، وأطلق الأشعة ..

* * *

يدين (رمزى) بفضل نجاته فى تلك الليلة المشئومة ، لرد فعل بدائى بسيط ، تبعثه فى النفوس غريزة البقاء ..

ذلك الذى دفعه إلى أن يلقى جسده كله جانبًا ، متفاديًا لسان اللهب ، الذى كان يقصده مباشرة ، ثم يهتف فى ذُعر :

— لنبتعد يا (محمود) .. بسرعة .

انطلق الاثنان يَعْدُوَان إلى حجرة بعيدة ، فى نهاية المنزل ، وراح التنّين الأسطورىّ ينقل أقدامه الثقيلة خلفهما فى بطء ، وهو يصدر فحيحه المخيف ، ويطلق ألسنة اللهب ..

وقفز الإثنان داخل الحجرة ، وأغلقاها خلفهما فى إحكام ، وراح (محمود) يلهث فى قوة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!.. أية قوة نواجه ؟

قال (رمزى) فى حنق :

ـ بل قل أى عبث شيطانىّ ؟

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى راحت ألسنة اللهب تضرب باب الحجرة من الخارج ، وبدت حرارته وكأنها تخترق كل العوازل ، وتحيل جوّ الحجرة المغلقة إلى جحيم ، فتلفَّت (رمزى) حوله ، ثم هتف فى سُخط :

ـ أى مهندس هذا ، الذى صمم هذه الحجرة بلا نوافذ ؟

أجابه (محمود) فى توتُّر :

ـ كان المفروض أن يعزلها عن هذا المنزل تمامًا ، فهى الحجرة التى أجرى فيها تجاربى الإشعاعية ، وهى تعتمد على نظام تهوية خاصّ ، بدلًا من النوافذ التقليدية .

لوَّح (رمزى) بذراعيه ، وهو يقول فى حدَّة :

ـ رائع .. لا تنسَ أن تكتب ذلك على قبرنا .

ران عليهما صمت مخيف ، استغرق بضع لحظات ، قبل أن يمسك (محمود) كتف (رمزى) فى قوّة ، وهو يقول :

ـ قُل لى يا (رمزى) ، أأنت واثق من أن إصابة أىّ من تلك المخلوقات فى عينه ، يُذهب أثره .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وغمغم :

ـ هذا ما حدث مع (نور) ، فى كل المرّات .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ الأمر يستحق المحاولة إذن .

سأله (رمزى) فى اهتمام مَشوب بالقلق :

ـ ماذا تعنى ؟

اتجه (محمود) نحو أحد أدراج مكتبه ، وهو يقول :

ـ أعنى أنه ربما كانت لدينا فرصة .

التفت (رمزى) إلى الباب ، الذى بدأ يذُوب حول ألسنة اللهب ، وقال فى توتُّر ملحوظ :

ـ كيف ؟

التقط (محمود) من درج مكتبه مسدسًا قصيرًا ، من ذلك النوع الذى يُحشى بالرصاصات ، وقال :

ـ إن لدينا هذا ، مع رصاصة واحدة .

تمتم (رمزى) مشدوهًا .

ـ واحدة ؟!



أجابه (رمزى) فى يأس ، وهو يتطلَّع إلى الباب ، الذى انهار تحت وطأة النيران ..

ثم لم يلبث أن استطرد فى عصبيَّة :

ـ من أين حصلت على هذا الشىء ؟

أجابه (محمود) ، وهو يفحص المسدَّس :

ـ إنه يخصُّ والدى .. كان يستخدمه قديمًا ، قبل انتشار مسدَّسات اللّيزر .

هتف (رمزى) :

ـ وماذا ستفعل به ؟

هزَّ (محمود) كتفيه ، وقال :

ـ إنه السلاح الوحيد الذى نمتلكه ، وعلينا أن نحاول استغلاله .

أجابه (رمزى) فى يأس ، وهو يتطلَّع إلى الباب ، الذى انهار تحت وطأة النيران ، وإلى رأس التنّين ، الذى برز داخل الحجرة :

ـ أظنُّك على حقّ .

وبسرعة ، أدار (محمود) فوَهَة مسدَّس والده نحو عين التنّين ..

وأطلق النار ..

* * *

أطلقت (نشوى) صرخة مدوّية ، مع هجوم جحافل الفئران ، وراحت تضرب المخلوقات الصغيرة بقدميها فى رُعب ، مثلما يفعل والدها ، إلّا أنه بدا لها وكأن كل فأر تركله ، يصطحب معه فى الهجمة التالية خمسة فئران ، وأن أعداد المهاجمين تتضاعف فى سرعة مُذْهلة ..

وصرخ (نور) :

ـ اصعدا فوق أية منطقة مرتفعة .. أسرعا .

قفزت (سلوى) فوق الموقد ، ومدّت يدها تجتذب ابنتها فى هَلَع ، وهى تهتف بزوجها ، الذى راح يركل جيوش الفئران ، ويطلق عليها أشعته القاتلة :

ـ اصعد يا (نور) .. اصعد معنا .

ولكنه بدا وكأنه لم يسمعها ، وهو يُطلق الأشعة فى عنف واستمرار ، وأنفاسه تتلاحق من فرط التعب والإجهاد والانفعال ..

وتشبّثت (نشوى) بأمّها ، وهى تهتف :

ـ أمّاه .. ينبغى أن نفعل شيئًا .. إننا لن نتركه هكذا .

صاحت (سلوى) فى ارتياع :

ـ ماذا نفعل ؟. ماذا ؟.. إن تلك الفئران اللّعينة تتسلّق

الموقد بالعشرات ، ولن يمضى وقت طويل ، حتى نجد نفسينا فى موقف أسوأ من (نور) .

صاحت (نشوى) :

ـ ولكن ينبغى أن نفعل شيئًا .

ومدّت يدها تلتقط سكّينًا ضخمًا ، وكأنما قرّرت أن تشترك فى المعركة بالسلاح الأبيض ..

ولكنها انزلقت فجأة ..

انزلقت وهَوَت وسط مئات الفئران ..

مئات المخالب الحادّة والأنياب الدقيقة ..

وصرخت (سلوى) فى ارتياع :

ـ (نشوى) .

وأدار (نور) عينيه نحو ابنته ، ورأى جيوش الفئران تهاجمها فى وحشية وشراسة .. وشر ..

وبدا أن الشيطان سينتصر حتمًا فى هذه الجولة ..

حتمًا ..

* * *

٤ ـــ كيف ؟! ..

أشعلت أشعة اللّيزر النيران ، فى البقايا الخشبية المتعدّدة ، حول سيّارة الدكتور (حجازى) الصاروخية ، وتوقّف قطيع الذئاب عن الهجوم ، وراح يتطلّع إلى النيران فى خوف ، ثم لم يلبث قائد القطيع أن أطلق عواءً متصلًا ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، وقد تلاشت من عينيه تلك النظرة النارية ، وتبعه القطيع كله بسرعة كبيرة ، فهتف الدكتور (حجازى) :

ـــ أنت عبقرىّ يا دكتور (عزيز) .. لقد نجونا .

تنهّد الدكتور (عزيز) فى ارتياح ، وقال :

ـــ النار يا ولدى .. النار وحدها تغسل الشرور .

ضغط الدكتور (حجازى) أزرار المحرّك ، فأضاءت كلها فى ليُونة ، وهتف هو فى سعادة :

ـــ حتى المحرّك عاد للعمل .. يا للرّوعة !!

ثم انطلق بالسيّارة نحو منزل الدكتور (عزيز) ، وهو يستطرد :

ـــ يبدو أننا كنّا أوّل من سيطبق عليهم الشيطان الصغير انتقامه ، ولكننا نجونا .

غمغم الدكتور (عزيز) فى صوت مضطرب :

ـــ مؤقتا .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وقال فى توتُّر :

ـــ لماذا تقول هذا يا دكتور (عزيز) ؟

رفع الدكتور (عزيز) سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـــ لأن ذلك الوغد الصغير ما يزال هنا .. على أرضنا ، وما دام لم يَعُد مرغمًا إلى جحيم أجداده ، فالخطر لن ينزاح عنّا أبدًا .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـــ صدقت .

ثم أوقف السيارة أمام منزل الدكتور (عزيز) ، مستطردًا فى خُفوت :

ـــ ويبدو أنك ستضطر لاستضافتى حتى الصباح ، فلست أجد فى نفسى الشجاعة للعودة وحدى الآن .

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

ـــ شكرًا يا ولدى .. لقد كنت أبحث عن وسيلة ، أطلب

بها منك البقاء معى حتى الصباح ، ولكنك التقطت زمام المبادرة .

غادرا السيَّارة ، والدكتور (حجازى) يغمغم :

ــ أتعلم ؟. أظن أنه لن يغمض لى جفن حتى الصباح .

أجابه الدكتور (عزيز) فى هدوء :

ــ هذا حتمىّ ، فسنقضى الليل كله فى البحث .

سأله فى دهشة :

ــ أى بحث ؟

سَرَت الجدِّية والصرامة فى صوت الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

ــ سنبحث عن وسيلة جديدة ، لمواجهة الشيطان الابن ، أو لقتله دون مواجهته ، فنحن نخوض حربًا شعواء يا ولدى ، وويل لمن يُغمِض جفنيه ، قبل أن تعلن الحرب نهايتها .. الوَيْل كلُّ الويل ..

* * *

من المؤكَّد أن (محمود) لم يستخدم تلك المسدَّسات ، التى تُطلق الرصاصات ، من قبل أبدا ..

ومن المؤكَّد أيضًا أنه لم يجد الوقت الكافى للتصويب ..

ولكن الرصاصات أصابت هدفها ..

أصابته بدقة بالغة ، كما لو أنه رامٍ بارعٌ محترف ..

وفى تلك العين الشيطانية الملتهبة ، غاصت الرصاصة ..

وأطلق التِّنين الخرافىّ فحيحًا رَهِيبًا ، ثم تراجع فى سرعة كبيرة نسبيًّا ، نظرًا لثقل جسمه ، وبطئه المعهود ..

وفجأة ، تحوَّل التِّنين إلى شعلة من اللهب ..

شعلة تأجَّجت لحظة واحدة ، ثم خبَت وتلاشت ..

ولدقيقة تلت ، لم ينبس (رمزى) أو (محمود) ببنتِ شَفَة ، أو تبدر من أيهما بادرة واحدة ..

كانا وكأنما قد تحوَّلا إلى تمثالين من الرخام البارد ..

ثم انتفض (محمود) ، وهتف :

ــ لقد أصبته .

حدَّق (رمزى) فى تلك البقعة ، التى كان يقف عندها التِّنين ، وهتف :

ــ أهو وَهْم ؟

أشار (محمود) إلى بقايا الباب المحترق ، وهو يقول فى حماس :

ــ بل حقيقة .

ثم أسرع يغادر الحجرة، ويتجه نحو جهاز التليڤيديو، الخاصّ به، فسأله (رمزى) فى دهشة :

ــ ماذا ستفعل ؟

أجابه، وهو يضغط أزرار التليڤيديو فى سرعة ولهفة :

ــ أريد أن أطمئن على (نور)، فسرعة الهجوم توحى بأنه هجوم شامل، إذ يبدو أن ذلك الشيطان قد قرَّر أن يضرب ضربته الأخيرة .. وبحزم .

* * *

سقطت (نشوى) وسط جحافل الفئران الشرسة ..

وصرخت (سلوى) فى لوعة ..

وعضَّ (نور) شفتيه فى مرارة، وهو يركل الحيوانات الصغيرة، صائحًا :

ــ ابتعدى أيتها الجرذان الحقيرة .. ابتعدى ..

وفجأة، حدث ما أثار دهشته إلى أقصى حدّ ..

لقد تراجعت الفئران، وابتعدت بالفعل، كما لو أنها قد أطاعت أوامره ..

تراجعت كلها، ووقفت تحدّق فى (نور) و (سلوى) و (نشوى) لحظات، ثم اندفعت كلها إلى حيث جاءت ..

واختفت جيوش الفئران كلها فى لحظات ..

ولم يكد آخر فأر يختفى، حتى هتفت (سلوى)، وهى تقفز نحو ابنتها :

ــ أأنت بخير ؟.. أأنت بخير يا بنيَّتى ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا، وهى تنهض بمعاونة أمها، دون أن تجرؤ على التفوُّه بحرف واحد، فى حين غمغم (نور) فى حَيْرة :

ــ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

سألته (سلوى) فى دهشة :

ــ عمَّ تتساءل ؟

أشار حوله، قائلًا :

ــ لماذا جعلهم يتراجعون، على الرغم من أنه كانت أمامه فرصة نادرة لقتلنا جميعًا ؟!

غمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ــ ربما قلت أنت شيئًا .. أو فعلت شيئًا .. أو .....

صمتت لحظة، ثم هتفت فى حماس، وكأنها قد أدركت الأمر :

ــ ألم تأمرهم بالابتعاد ؟!

لم تكد تنتهى من عبارتها ، حتى رددت الجدران صدى ضحكة شيطانية ساخرة ، انطلقت من نقطة ما ، خارج الزمان والمكان ، فعقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وهو يهتف :

ـ أيُّها الحقير .. لقد أضعت من نفسك فرصة نادرة ، ستندم عليها أشد الندم فيما بَعْد .

انطلقت الضحكة الساخرة مرَّة أخرى ، وأعقبها صوت (ابن الشيطان) ، وهو يقول :

ـ أخطأت مرَّة أخرى أيُّها الآدمىّ ، فالندم ليس من سماتى ، كما أن فئرانى لم تترككم ؛ لأنك أمرتها بذلك ، بل لأننى أنا فعلت .

قال (نور) فى سخرية ، وهو يتلفت حوله ، بحثًا عن مصدر الصوت :

ـ لماذا أيها العطوف ؟.. أراودتك تلك العاطفة العجيبة ، التى لم يألفها بنو جنسك من قبل ، والمعروفة باسم (الرحمة) ؟

أجابه صوت الشيطان الابن ، فى سُخرية مماثلة :

ـ لا وجود لتلك الكلمة فى قاموسنا يا حفيد

(أوزيريس) ، مثلها مثل عشرات الكلمات الحمقاء ، التى تعبِّرون بها عن مشاعر أكثر حماقة ، يا بنى (آدم) .. إن قاموسنا لا يحوى سوى كلمات القوَّة والظفَر والشدَّة والبأس .

قال (نور) فى برود :

ـ فهمت .

ثم أضاف فى حزم :

ـ لقد تركتنا إذن ، لتبرز قوَّتك ، وتؤكِّد لنا سيطرتك على حياتنا ومقاديرنا .

قال الصوت فى برود مماثل لبرود (نور) :

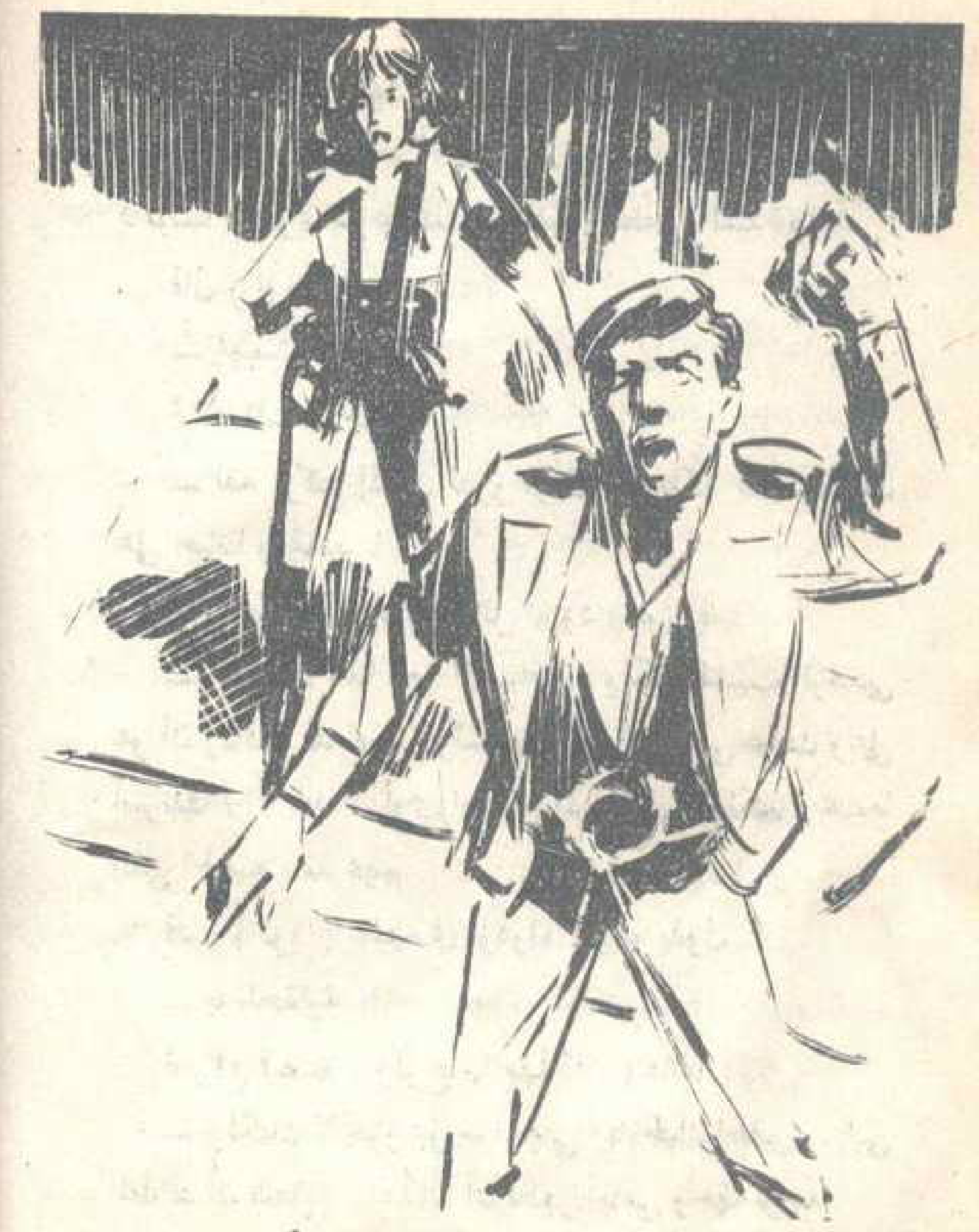
ـ ربما كان هذا أحد الأسباب ، ولكن السبب الرئيسى هو أن رفاقك قد نجوا ، ولست أحب أن أقضى عليك وعلى أسرتك ، إلَّا بعد أن أرى الحزن والمرارة فى عيونكم ، عندما يلقى الجميع مصرعهم .

قلَّب (نور) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ يا للحقارة !!

ثم رفع قبضته ، ولوَّح بها مهدِّدًا ، وهاتفًا :

ـ ولكنك لا تجرؤ على مواجهتى أيها الجبان الحقير .. إننى أتحدَّاك أن تفعل .. أتحدَّاك أن تظهر أمامى وجهًا لوجه .



ثم رفع قبضته ، ولوَّح بها مهدِّدًا ، وهاتفًا :

ـ ولكنك لا تجرؤ على مواجهتى .

أجابه الشيطان الابن فى حِدَّة :

ـ سأفعل يا حفيد (أوزيريس) .

ثم استعاد هدوءه بسرعة ، وهو يستطرد :

ـ ولكن فى الوقت المناسب ، عندما أرى أنا أن الوقت قد حان .

قالها وأطلق ضحكته الساخرة المخيفة ، التى راحت تتلاشى فى بطء ، مع ارتفاع أزيز جهاز التليڤيديو ، فهتفت (سلوى) فى خوف :

ـ هل ذهب ؟

أجابها (نور) وهو يتجه نحو جهاز التليڤيديو :

ـ مؤقتًا .

ثم ضغط زرَّ الجهاز ، فظهرت على شاشته صورة (محمود) ، وهو يهتف فى لهفة :

ـ (نور) .. أأنت بخير ؟.. أأنتم جميعًا بخير ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ اطمئن يا صديقى .. الجميع هنا بخير .. لقد نجونا مثلما فعلتم جميعًا .

هتف (محمود) فى دهشة :

— كيف علمت بأمر نجاتنا ؟

أجابه فى هدوء :

— لقد أخبرنى ذلك الجهنمىّ الحقير .

زفر (محمود) فى قوّة ، قبل أن يهتف :

— يا إلهى !!.. إنها أبشع تجربة مرّرنا بها حقًّا يا (نور) .. إن جسدى ما يزال يرتجف ، على الرغم من أننا قد نجونا بالفعل .

قال (نور) فى حزم :

— إنها تجربة رهيبة للجميع يا (محمود) ، ولكننا سنحاول الاستفادة منها إلى أقصى حدّ .

هتف به :

— كيف ؟!

أجابه بنفس الحزم :

— ستعلم كيف يا (محمود) ، سأخبرك مع الآخرين غدًا ، فى اجتماع خاص ، فى إدارة المخابرات .

غمغم (محمود) فى دهشة :

— اجتماع خاصّ ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا . وقال :

— نعم .. ويمكنك أن تطلق عليه اسم (مجلس الحرب) .

أمسكت (سلوى) كتف زوجها ، وهى تقول فى قلَق :

— (نور) .. هل ستعلن عليه الحرب حقًّا ؟

أجابها فى صرامة :

— بل سأقاوم حربًا يشنُّها هو علينا .

والتفت مرّة أخرى إلى شاشة التليفيديو ، مستطردًا فى حزم وحسم :

— غدًا يا (محمود) .. غدًا تبدأ المعركة الحقيقية ..

* * *



٥ ـــ الكلمة ..

كان الاجتماع فى مركز قيادة المخابرات العلمية ..

لم يكن فى ذلك المبنى ، المقام فوق سطح الأرض ، والذى يتصوَّر العامة أنه مركز القيادة ، وإنما كان فى المركز الفِعْلىّ ، على عمق نصف كيلومتر تحت سطح البحر ..

وكان الاجتماع يتمّ داخل حجرة مصمطة ، بلا نوافذ ، ولا تحوى سوى مائدة مستديـــرة ، جلس حولها (نور) وفريقه ، وابنته (نشوى) ، والدكتور (حجـــازى) والدكتور (عزيز) ..

ولقد زُوِّدت هذه الحجرة بنظام تهوية خاصّ ، شديد التعقيد ، يعتمد على التداخـلات الذريـة ، للـذرّات الإليكترونية ، وهناك جهاز خاصّ ، يمنع وجود أيّة أجهزة تصنُّت ، ويمنع تسرُّب حرف واحد خارج الحجرة ..

وجدران الحجرة نفسها من الرصاص السَّميك ، الذى يبلغ سمكه ما بين عشرين إلى ثلاثين سنتيمترًا ، وتحيط بها ذبذبة

كهرومغناطيسية دقيقة وقويّة ، بحيث لا تسمح بمرور أيّة قوّة عَبْرَها ، مَهما بلغ صغر ذبذباتها ..

باختصار ، كانت حصنًا يستحيل اختراقه ..

وفى داخلها ، كان الدكتور (حجازى) يسأل (نور) :

ـــ ما سِرُّ هذا الاجتماع يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ إننا هنا لِنُعِدَّ خُطَّة العمل ، للإيقاع بذلك الشيطان الابن يا سيِّدى .

هتفت (سلوى) فى قلق ، وهى تتلفَّت حولها :

ـــ ولكنه قد يكون هنا يا (نور) .

أشار إلى الجدران ، قائلًا :

ـــ لا تنسَوْا أنه ، على الرغم من قدراته المُذهِلَة ، نصف بشرىّ .. أى أنه لن يستطيع عبور تلك الجدران ، مع وسائل أمنها ، إلّا بعد أن نعلم بوجوده .

غمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ـــ لست أظن شيئًا يقف فى سبيل شيطان مثله .

قال (نور) فى حزم :

ـــ على أيّة حال ، ليس أمامنا سوى أن نخاطر .

التفت الدكتور (حجازى) إلى الدكتور (عزيز) ، وسأله فى قلق واهتمام :

ـ أتظن أن تلك الجدران تمنعه يا سيِّدى ؟

تردَّد العجوز لحظات ، ثم قال :

ـ إننى لم أدرس هذا الاحتمال أبدًا .

أشار إليه (نور) فى حزم ، وهو يقول :

ـ دَعْكَ الآن من الدراسات والاحتمالات يا سيِّدى ، وأخبرنى كخبير فى علوم ما فوق الطبيعيَّات ، أهناك وسيلة أخرى لهزيمة ذلك الشيطان الصغير ، دون مواجهته ؟

تنهَّد الرجل ، وهزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لقد قضيت الليل كله ، أبحث مع الدكتور (حجازى) عن تلك الوسيلة ، ولكننا فشلنا ، وحتى الآن ، فالوسيلة الوحيدة للقضاء على ذلك الشيطان الابن ، والتى كشفتها أنت ، هى النار .. النار فقط ..

وتنهَّد مرَّة أخرى ، ثم أضاف فى أسف :

ـ ولكن هذا يتطلَّب مواجهته حتمًا .

التفت (نور) إلى (رمزى) ، وسأله :

ـ قُلْ لى ، كخبير نفسىّ ، كيف يمكن دفع ذلك الابن الشيطانىّ لمواجهتى على نحو مباشر ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، يحاول دراسة هذا الاحتمال ، ثم قال فى تردُّد :

ـ أظنه لن يواجهك وجهًا لوجه ، إلَّا فى حالة واحدة يا (نور) .

سأله (نور) فى اهتمام شديد :

ـ متى ؟

تردَّد (رمزى) لحظة أخرى ، ثم أجاب :

ـ عند هزيمتك .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .. أتظنه سيأتى على نحو واضح ، أم أنه سيتحصَّن ضد النار ؟

أجابه (رمزى) على الفور :

ـ أظنّ أن الاحتمال الثانى هو الأرجح .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، ثم اعتدل ، وقال فى قوَّة :

ـ هذا يكفى .. الآن يمكننا أن نضع خطَّتنا أيها السادة .. لقد تركنا ذلك الشيطان الصغير يدير دفَّة المعركة منذ البداية ، أما الآن ، فقد حان الوقت لنقول كلمتنا .. وستتبدَّل الأدوار .. ستتبدَّل حتمًا ..

* * *

عاد (فهمى مروان) إلى منزله منهكًا ، بعد يوم طويل ، قضاه فى مراجعة نظم أمن مصنع ضخم ، بصفته خبيرًا فى شئون الأمن ، وأغلق باب المنزل خلفه ، وهو يهتف فى إعياء :

ــ يا إلهى !!.. كم أتوق لقليل من الرَّاحة ، مع قدح من القهوة ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وتراجع فى حركة حادَّة ، جعلته يرتطم بالباب ، الذى أغلقه خلفه على التوّ ، ويلتصق به ، وهو يحدّق فى وجه ذلك الشخص الجالس أمامه ، فى ذُعر حقيقىّ ..

كان شابًا وسيمًا ، يرتدى حُلَّة سهرة سوداء ، ورباط عنق أحمر ناريًا ، ويجلس هادئًا ، على المقعد المقابل للباب ، بشعره الأشقر الذهبىّ ، وعينيه اللتين تُومضان ببريق لهيب مستعر ، وابتسامته المخيفة ..

وفى صعوبة ، وبعد محاولة فاشلة لازدراد لُعاب جاف ، هتف (فهمى) بصوت مختنق :

ــ من أنت ؟ .. وكيف دخلت إلى هنا ؟

نهض الشابُ من مقعده فى هدوء ، واتجه نحوه ، وهو يقول فى صوت بارد ، بدا ــ على الرغم من برودته ــ وكأنه يأتى من أعماق الجحيم :



وفى صعوبة ، وبعد محاولة فاشلة لازدراد لُعاب جاف ، هتف (فهمى) بصوت مختنق : ــ من أنت ؟.. وكيف دخلت إلى هنا ؟

— دَعْكَ من تلك الأسئلة الحمقاء ، وأجبنى أنت : ألديك حُلّة خاصّة ، يمكنها مواجهة النيران ، مهما بلغت قوتها ؟

ازداد (فهمى) التصاقًا بالباب ، وهو يجيب فى خوف ، وعيناه لا تفارقان عينى (ابن الشيطان) الناريتين :

— من الصعب وجود مثل هذه الحُلّة ، صحيح أنه توجد ثياب مقاومة لنيران الحرائق العاديّة ، ولكن .....

بتر عبارته فى رُعْب هائل ، عندما رأى فى وضوح تلك النيران ، التى تستعر فى عينى الشيطان الابن ، الذى قال فى لهجة هادئة حازمة :

— أحقًا ؟!..

شعر (فهمى) بدُوَار ، وبرغبة قوية فى أن يسقط فاقد الوعْى ، وهو يغمغم فى ارتياع :

— بل توجد حُلّة واحدة فريدة ، مصنوعة بالكامل من مادّة خاصّة ، كانت معدّة لنقل رجل آلىّ ، إلى قلب الشمس ، ولكنها حُلّة نادرة ، لا يوجد منها فى العالم كله ، سوى واحدة ، و .....

قاطعه (ابن الشيطان) ، وهو يحدّق فى عينيه مباشرة ، قائلاً :

— وأين هى ؟!

قال (فهمى) ، وقد سَرَت البرودة فى أطرافه ، وتثلّجت حواسُّه رُعْبًا :

— إنها هناك ، فى مؤسسة أبحاث الفضاء ، ومن المستحيل أن يصل إليها أى مخلوق ، ما لم يحصل على تصريح أمنى خاص ..

ابتسم (ابن الشيطان) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

— تقصد أى إنسىّ .

ثم وضع كفّيه على كتفى (فهمى) ، الذى احتبست فى حلقه صرْخة رُعْب وألم هائلة ، وانتفض جسده انتفاضة عنيفة ، عندما سَرَت فيه تلك الصاعقة ..

صاعقة الشيطان ..

* * *

أصغَى الجميع إلى (نور) فى صمت تام ، وهو يشرح تفاصيل خُطّته ، وبعدها استمر الصمت بضع لحظات ، وخيّم على المكان ، وسيطر عليه سيطرة تامة ، قبل أن تغمغم (نشوى) فى خوف :

— أبى .. خُطّتك هذه ليست حربًا .. إنها انتحار .. انتحار كامل .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هذه هى الوسيلة الوحيدة المتاحة .

هتف (رمزى) معترضًا :

ـــ ولكنها ليست وسيلة عادلة .. إنك تدفع نفسك وحياتك ثمنًا لنجاح خُطَّة ، تهدف إلى إنقاذنا جميعًا .

أشار (نور) إلى صدره بقبضته ، وهو يقول فى جِدَّة :

ـــ لأنها معركتى أنا .

هتفت (سلوى) :

ـــ بل هى معركتنا جميعًا .

لوَّح (نور) بكفِّه ، صائحًا :

ـــ أنسيتم أنه يقصدنى أنا فى النهاية ؟! .. أنسيتم أنه من أجلى أنا ، نشبت كل هذه الحرب ؟.. من الطبيعى إذن أن أكون أكثركم ميلًا للمخاطرة والمجازفة ، عَلَى أنْ أضَعَ فى الاعتبار أن كلًا منكم لديه دَوْر يقوم به .. أليس كذلك ؟

غمغم الدكتور (عزيز) فى إشفاق :

ـــ هذا صحيح يا ولدى ، ولكن أدوارنا تبدو أشبه بـ (الكومبارس) ، إلى جوار دَوْرِك .

هتف (نور) :

ـــ هذا ما تظنُّونه .. إنَّ أدواركم أكثر أهميَّة من دَوْرِى .. صحيح أننى سأواجهه فى النهاية ، ولكننى سأفعل وأنا واثق من أن كلًّا منكم قد أدَّى دَوْرَهُ على نحو جيِّد ، وإلَّا فالفشل نصيبى حتمًا .

نهض (محمود) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ أنت على حقٍّ يا (نور) .

هتفت (سلوى) مستنكرة :

ـــ ماذا تقول يا (محمود) ؟

التفت إليها ، وهو يقول فى حزم :

ـــ أقول إنه على حقٍّ يا (سلوى) .. إنها معركته ، شئنا أم أبينا .. وسأستعيد هنا عبارة الدكتور (عزيز) ، التى نسيها فى غمرة انفعاله ، تلك العبارة التى تقول « إنه من الضرورىّ أن نستعين فى قتالنا ، مع الشيطان الابن ، بالعقل والمنطق وحدهما ، وإلَّا فإنه سينتصر حتمًا » ، لا مجال هنا للعواطف والانفعالات .. الواقع وحده سينتصر .

ثم استدار إلى (نور) ، واستطرد فى قوَّة :

ـــ أنا أحد جنودك يا (نور) ، وسأنفِّذ كل ما تأمرنى به .

غمغم (نور) فى امتنان :

ـــ شكرًا لك يا صديقى .

نهض (رمزى) بدوره ، وقال :

ـ وأنا كذلك .

وهتفت (سلوى) ، وعيناها مغرورقتان بالدموع :

ـ لا أظننى سأتخلى عن زوجى .

ونهضت (نشوى) تعانق أباها ، هاتفة :

ـ ولا أنا عن أبى .

وابتسم الدكتور (حجازى) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ متى تحب أن نبدأ يا (نور) ؟

أما الدكتور (عزيز) ، فقد نهض ، قائلاً فى حماس وانفعال :

ـ صدقنى يا ولدى .. على الرغم من أننى قد تجاوزت العقد التاسع من العمر ، إلا أن هذه أعظم لحظات حياتى ..

وكان على حق ..

إنها أعظم لحظات حياته ..

وأعظم لحظات حياة الجميع ..

لقد تحالف بنو آدم ، ليبدءوا حربهم ضد (ابن الشيطان) ..

وفى هذه المرة كانت الجولة عنيفة ..

وأخيرة ..

* * *

٦ ـ وبدأت النهاية ..

جلس رجل الأمن ، فى مؤسسة أبحاث الفضاء المصرية ، متأهبًا متحفزًا كعادته ، وهو يراقب شاشات الراصد المتعددة ، التى تنقل إليه كل ما يدور بالخارج ، بعد أن لُقن طوال دورة تدريبية طويلة ومكثفة ، كيف أن هذا المكان يحوى أدق وأخطر أسرار الدولة الحربية ،والعلمية .

والواقع أن تحفز رجل الأمن وتأهبه ، لم يكن لهما ما يبررهما ، على الرغم من أهمية المكان وخطورته ، فقد كان كل شىء هناك يدار آليًا .. حتى وسائل الدفاع ، فما إن يقترب شخص ما من المبنى ، حتى يكون عليه أن يبرز بطاقته الخاصة ، أمام قبة من الترددات العنيفة ، تحيط بالمكان ، وتمنع أى كائن من اختراقها ، ما لم يحمل بطاقة مغناطيسية خاصة ..

ولو تجرأ أحد ، واجتاز تلك القبة غير المرئية ، متجاهلاً لافتات التحذير ، فإن مدافع الليزر ، التى تديرها أجهزة كمبيوتر بالغة الدقة ، ستطارده بلا رحمة ، حتى يعود أدراجه ، أو يسقط جثة هامدة ..

وحتى لو أفلت من هذا أو ذاك ، فستجابهه قوات آليَّة قويَّة ، يمكنها تمزيق حائط من الفولاذ البلاتينى فى ثوانٍ معدودة ..

وبعدها سيكون عليه أن يجتاز أسوار الأمن ، التى يسرى فيها تيار كهربى رهيب ، يبلغ مليونى فولت على الأقل ..

وإذا ما أفلح رجل فى ذلك ، فلن يكون أمامه سوى معرفة تسع شفرات سرِّيَّة بالغة التعقيد ، ينجح الكمبيوتر الحديث ، المزوَّد بدوائر بحث إضافية فائقة السرعة ، فى حل رموز الشفرة الواحدة منها ، فى نصف الساعة على الأقل ..

وإذا ما حقَّق أى مخلوق هذه المعجزة .. بل إذا ما تجاوز كل هذه المعجزات ، يكون من حقِّه أن يحصل على ما يريد ..

لهذا لم يكن لتأهُّب رجل الأمن وتحفُّزه من مبرِّر ..

ولكن فجأة ، وعلى الرغم من ذلك ، تضاعف تحفُّز رجل الأمن ، وأضيف إليه شعور قوىّ بالتوتُّر ، وهو يميل إلى الأمام فى دهشة بالغة ، وكأنما يرغب فى اختراق شاشات الراصد برأسه ، والغوص فيها بعينيه ..

كل هذا لأنه شاهد شابًا وسيمًا ، يجتاز القبَّة غيْر المرئيَّة ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة ساخرة ، غير مبالية ..

وتحوَّلت دهشة رجل الأمن إلى ذُهول جارف ، عندما بدأت مدافع اللِّيزر تنطلق ، وتصبُّ أشعتها على المقتحم الوسيم ..

لقد اخترقت خيوط الأشعة جسده ، ونفذت منه ، وانكسرت أو انعكست ، دون أن يتوقَّف هو لحظة ..

وهنا انطلقت القوات الآلية تواجه المعتدى ..

وخُيِّل لرجل الأمن أنه يحيا كابوسًا بشعًا ، أو أنه يشاهد معجزة من معجزات الخلق ..

أو أنه قد جُنَّ ..

لقد رأى مخالب القوات الآليَّة تُطبق على ذراع المعتدى ، وتبترُها ، فتسقط الذراع أرضًا ، ثم تعود فتقفز إلى جسد صاحبها ..

الجسد كله يتمزَّق ، ثم تعدُو أجزاؤه لتلتقى ، وينهض الجسد من جديد ..

وعندما بلغ المقتحم أسوار الأمن ، ومزَّقها بيديه العاريتين ، اللتين تألقتا فى قوَّة ، لسريان مليونى فولت فيهما ، تراجع رجل الأمن فى رُعب هائل ، وهو يردِّد :

— مستحيل !!.. هذا مستحيل !! مستحيل !!..

وكاد يسقط فاقد الوعى ، عندما رأى ذلك المقتحم داخل المبنى ، يتجاوز أبوابه ذات الشفرات المعقّدة ، كما لو كانت الأبواب نفسها تخشى اعتراض سبيله ، فتستسلم له فى رُعب ..

وبلغ المقتحم المخيف قاعة التجارب الخاصّة ، وانتزع من هناك تلك الحُلّة الذهبيّة الجديدة ، التى أطلق عليها العلماء اسم (رداء الشمس) ، والتى قالوا لرجل الأمن إنها أخطر أسرار (مصر) ..

وهنا أجبر رجل الأمن كل مخاوفه على المضىّ بعيدًا ، وألقاها خلف ظهره فى حزم ..

لقد صار الأمر يتعلّق بأمن وطنه ..

ولأوّل مرّة فى تاريخ مؤسسة أبحاث الفضاء المصريّة ، غادر رجل أمنها مقعده ، وانتزع مسدّسه اللّيزرىّ ، وانطلق يتصدّى لمعتدٍ ..

وبكل الحزم والصّرامة ، صاح رجل الأمن ، وهو يصوّب مسدّسه إلى ذلك المقتحم ، الذى أمسك (رداء الشمس) يفحصه فى اهتمام :

ـ قِف مكانك ، واستدر فى بطء .

استدار إليه (ابن الشيطان) فى هدوء ، ورسم على شفتيه ابتسامة ساخرة مخيفة ، وهو يقول فى لهجة تجمّدت لها دماء رجل الأمن فى عروقه ، وهَوَى لها قلبه بين قدميه رُعبًا :

ـ أتأمرنى أيها البشرىّ الحقير ؟!.. أتأمر سيّدك ؟

تجمّد رجل الأمن فى مكانه ، وتجمّدت قبضته المُمْسِكة بالمسدّس ، وهو يحدّق فى عينى الشيطان الابن الناريّتين ، وهذا الأخير يقترب منه فى بطء ، ثم نفض الرجل خوفه بغتة ، وصاح فى توتُّر رهيب :

ـ قلت لك قِفْ .. لا تقترب .. واترك الرّداء .

ولكن (ابن الشيطان) تابع تقدّمه ، وهو يحمل على شفتيه نفس الابتسامة الساخرة ..

وهنا أطلق رجل الأمن أشعة مسدّسه اللّيزرىّ ..

أطلقها بمزيج من الخوف والهَلَع والتّوتُّر ..

ورأى أشعته تخترق جسد (ابن الشيطان) ..

وتخترقه ..

وتخترقه ..

والشيطان الابن يواصل تقدّمه ، وابتسامته الساخرة تملأ وجهه ، حتى بلغ رجل الأمن ، الذى تجمّد رُعبًا ، وقال فى لهجة مخيفة :

ـ لقد حكمت على نفسك بالموت ، أيها الآدمىّ الأحمق .

وفى هدوء ، وضع كفَّيْه على كتفى رجل الأمن ، الذى اختنقت صرخته فى حلقه ، وسرت صاعقة الشيطان فى جسده حتى المَوْت ..

* * *

تنهَّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وهو يشير إلى ثلاث جثث ، تراصَّت أمامه فى قسم التشريح ، قائلًا فى حزن ومرارة :

ـ هذه هى حصيلة مساء أمس ، وصباح اليوم فحسب .. ثلاثة قتلى ، يحمل كل منهم ذلك النقش الملعون على صدره ، وثلاثتهم لَقُوا مصرعهم بالصعق الكهربىّ .. أوَّلهم صحفِىّ فاشل ، يُدْعَى (صفوت) ، ولقد تعرَّفه الناجون من حادث اقتحام إدارة البحث العلمىّ عندكم ، وقالوا إنه المقتحم ، والثانى (فهمى مندور) ، خبير الأمن المعروف ، والثالث رجل أمن ، لَقِىَ مصرعه فى مؤسسة أبحاث الفضاء ، مع اختفاء (رداء الشمس) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى ألم :

ـ يا للحقارة !!



وفى هدوء ، وضع كفَّيه على كتفى رجل الأمن ، الذى اختنقت صرخته فى حلقه ..

ثم شرد ببصره لحظات ، وهو يغمغم ، وكأنما يحدِّث نفسه :

ـــ صحفىّ ، وخبير أمن ، ورجل حراسة ، ورداء شمسىّ .. تُرى ما الذى يربط كل هذا بعضه ببعض ؟

صمت لحظات ، وقد انعقد حاجباه فى تفكير عميق ، ثم لم يلبثا أن اعتدلا فى هدوء مع ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـــ لقد فهمت :

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـــ حسنًا .. ما الذى يَعْنِيه كل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ يَعْنِى أن كل شىء يسير على ما يرام فحسب .

ثم ربَّت على كتفه ، مستطردًا :

ـــ والآن هيًّا بنا ، فلقد شارفت الشمس المغيب ، والليل هو ساحة ذلك الوغد الأثيرة ، ولابُدَّ لنا من أن نجتمع كلنا معًا ، فى منزل الدكتور (عزيز) كما اتفقنا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وهو يخلع مِعْطَفَهُ وَقُفَّازَيْهِ :

ـــ أمن الضرُورىّ أن نجتمع فى ذلك المنزل المقفر ؟.. إنه

يثير مخاوف ، من قبل حتى أن نسمع بأمر (ابن الشيطان) هذا .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

ـــ حتى لو وقع اختيارنا على غيره ، لكان هو سيدفعنا إليه دفعًا ، فهو يمثِّل كل ما يميل إليه عقله الشيطانىّ المريض .. البدائية ، والرَّهْبَة والغُمُوض .

غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو يتبعه إلى الخارج :

ـــ عجبًا يا (نور) !!.. إنك تُهَيِّئ له كل ما يصبُو إليه .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـــ ألا يَعْنِى هذا أننى خصْم شريف ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. أنت خصْم لمخلوق يجهل معنى كلمة (شرف) تمامًا .

ركب الاثنان سيَّارة (نور) الصاروخية ، وانطلق بها هذا الأخير ، مجتازًا شوارع (القاهرة) الجديدة ، ومتَّجهًا نحو مشارف (القاهرة) القديمة ، حيث يقيم الدكتور (عزيز) ، وغمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

— أتعشم ، عندما نصل ، أن نجدهم جميعًا على قيد الحياة .

أجابه (نور) فى هدوء :

— لا تقلق بشأنهم يا سيِّدى ، فلن يصيبهم ضرر ، ما دام الدكتور (عزيز) معهم ، فهو أكثر أهل الأرض خبرة ، بكيفية مواجهة نصف الشيطان هذا .

سأله الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

— ولكن ابن الملعون هذا لن يقف ساكنًا ، فلو أنه لم يهاجمهم ، فهذا يعنى أنه قد يهاجمنا نحن .

أجابه (نور) فى هدوء شديد ، تعارَض تمامًا مع كلماته :

— أظن أن هذا ما سيفعله .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى ذُعر ، وهو يهتف :

— (نور) .. أتحاول إخافتى ؟

ابتسم (نور) ، قائلًا :

— بل أحاول تحذيرك .

هتف الدكتور (حجازى) فى عصبية :

— كيف تبتسم هكذا ؟

هزَّ (نور) كتفيه فى هدوء ، وقال :

— لقد قرَّرت ألا أبكى بعد اليوم .

رَانَ عليهما الصمت بضع لحظات ، بعد هذه العبارة ، ثم قال الدكتور (حجازى) فى خُفُوت :

— لقد اقتربنا يا (نور) .. أظن أنه لن يهاجمنا الآن ، بعد أن بلغنا هذا الحدّ .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— مَنْ يدرى ؟.. إن القِطّ يحبُّ دوْمًا أن يمنح الفأر اعتقادًا قويًّا بأنه قد أفلت ، ثم ينقضُّ عليه فى اللحظة الأخيرة ..

ارتجف صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— أتعتقد ذلك حقًّا ؟ .

ثم تهللت أساريره ، وهتف فى حرارة ، وهو يشير إلى منزل الدكتور (عزيز) ، الذى لاح من بعيد ، وراح يقترب بسرعة كبيرة ، تساوى سرعة انطلاق السيَّارة الصاروخية نحوه :

— يبدو أنك قد أخطأت يا (نور) .. لقد وصلنا ، و .....

وفجأة بتر عبارته ، وارتجفت سبَّابته ، التى تشير إلى المنزل ، وانتفض جسده فى قوَّة ورُعب ..

لقد اختفى المنزل ..

وبدلًا منه ، أحاطت سحب كثيفة بالسيَّارة ..

وفجأة ، انقشعت السحب ، ووقف شعر الدكتور (حجازى) رُعْبًا ..

لقد كانت سيَّارة (نور) تنطلق بسرعتها الصاروخية ، نحو حوض يفيض بالحُمَم البركانية الملتهبة ..

وقبل أن يصرخ الدكتور (حجازى) ، هَوَت السيَّارة فى الحُمَم ..

واشتعلت براكبيها ..

* * *



٧ ــ الوَهْم ..

أطلق الدكتور (حجازى) صرخة رُعْب مُدوِّيَة ، عندما غاص مع السيَّارة وسط الحُمَم ، وشعر بالنيران تلتهم جسده ، على حين ارتفع صوت (نور) ، وهو يهتف :

ــ إنه وَهْمٌ يا دكتور (حجازى) ، مجرَّد وَهْم .. قَاوِمْ .. وركِّز أفكارك على نقطة أخرى ..

راح الدكتور (حجازى) يبذل أقصى جهده ، لمقاومة آلامه المبرِّحة ، وتركيز أفكاره فى نقطة أخرى بعيدة ..

وراح يتذكَّر طفولته ..

تذكَّر صباه وفُتُوَّته فى مدينة (طنطا) ..

تذكَّر عمله فى (بنها) ..

تذكَّر رحلة العمل ، التى خاضها فى شبابه ، فى مدينة (الهُفُوف) بالسُّعُودِيَّة ، ثم فى (الدَّمَّام) ..

وحصوله على درجة الدكتوراه ..

ونيله جائزة الدولة التشجيعيَّة ، على أبحاثه فى مجال الدم ..

وزواجه .. و .....

وفجأة ، تلاشى كل شىء ..

لم تعُد هُناك حُمَم ..

لم يَعُد هناك ألم ..

عاد يرى منزل الدكتور (عزيز) ، الذى أوقف (نور) سيارته أمامه ..

ورأى (نور) يبتسم فى هدوء ..

وبكل دهشته وحَيْرته ، وإعجابه ، هتف :

ــ كيف تفعل ذلك يا (نور) ؟!.. كيف تقاوم كل تلك المؤثِّرات ؟!

ابتسم (نور) ، وهو يجيبه فى هدوء :

ــ كان يكفى أن يقتنع عقلى بأن كل هذا مجرَّد وَهْم ، ليفقد (ابن الشيطان) هذا كل تأثيراته الوهميَّة علىَّ .

زفر الدكتور (حجازى) فى قوَّة ، وهو يقول :

ــ (نور) .. أنت شابٌّ رائع .

غمغم (نور) فى هدوء ، وبلهجة تحمل قدرًا وفيرًا من الحياء :

ــ شكرًا لك يا سيِّدى .

ثم قفز خارج السيَّارة ، مستطردًا فى حزم :

ــ والآن هيَّا .. فالجميع ينتظرون بدء المعركة .

* * *

تهلَّلت أسارير (سلوى) ، وهى تلقى نفسها بين ذراعى زوجها (نور) ، هاتفةً :

ــ (نور) .. حمدًا لله أنك قد وصلت سالمًا .. لقد خشيت لحظات أن يعترض ذلك الشيطان طريقك ، ويُوقِعَ بك فى براثنه .

ربَّت (نور) على كتفها فى حرارة ، وقال فى حنان :

ــ اطمئنِّى يا عزيزتى ، سيعود ذلك الشيطان الابن إلى جحيم قومه الليلة ، مهزومًا مدحُورًا ، يَجُرُّ أذيال الخيبة .

ارتجفت أجساد الجميع ، عندما دوَّى صوت غاضب ، ردَّدته كل الجدران ، وهو يهتف :

ــ مُحَال .

وفجأة ، اشتعلت النيران فى المقعد المجاور لـ (نور) ، وشهقت (نشوى) فى ذُعر ، وقفز (محمود) جانبًا ، وغمغم الدكتور (عزيز) فى هَلَع :

ــ يا إلٰهى !!..

أمّا (رمزى) و (سلوى) والدكتور (حجازى) ، فقد جَمّدهم الرُّعب ، وسمعوا (نور) يقول فى هدوء ، وبلهجة تحمل قدرًا موفورًا من السُّخرية :

ــ يا للسخافة !!

وهنا اشتعل مقعد آخر إلى يساره ، وراحت كتب الدكتور (عزيز) ومخطوطاته النادرة تتقافز ، وترتطم بالحوائط والأرض فى عنف ، حتى أن هذا الأخير راح يهتف فى ارتياع :

ــ كتبى .. مخطوطاتى .. دَع نوادِرى أيها الشيطان الطفل .. دَع خلاصة عمرى أيها الحقير .

ولكن شعرة واحدة فى جسد (نور) لم تهتز ، على الرغم من الرُّعبِ الهائل ، الذى سيطر على كل مَنْ حوله ، فى حين قال هو فى سُخرية :

ــ ألن تكُفّ عن عبث الأطفال هذا ؟

وتوقف كل شىء بغتة ، وَخبت نيران المقعدين ، واختفت أطنان الكتب الممزّقة ، الملقاة أرضًا ، وَعادت تبدو فى مكتبتها الضخمة منظّمة مرتّبة ، جنبًا إلى جنب مع المخطوطات النادرة ، فهتف الدكتور (عزيز) مذهولًا :

ــ ما الذى يحدث هنا ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة ساخرة :

ــ مجرّد وهم يا سيّدى .. أوهام سخيفة ، لا يتفوّق فيها إلا طفل تافه .

ارتجّت الجدران بصيحة الغضب :

ــ ستموت يا حفيد (أوزيريس) .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وقال :

ــ أهذا أيضًا مجرَّد وهم ؟!.. لماذا لا تظهر أمامى ، ما دمت تملك كل هذه الشجاعة ؟

أتاه صوت من مدخل الحجرة ، يقول :

ــ هأنذا .

كان الصوت مألوفًا بشدّة ، وعندما التفت الجميع إلى مصدره ، اشتركوا فى شهقة دهشة قوية ..

فلقد كان الصوت مألوفًا ؛ لأنه صوت (نور) ..

والواقف هناك كان (نور) ..

(نور) نفسه ..

* * *

كانت دهشة الجميع جارفة ، وهم يحدّقون فى شبيه (نور) ، الذى وقف متحدّيًا عند باب الحجرة ، يقول :

ـ هيًا أيها الرائد .. أطلق أشعة مسدسك علىَّ ، لو أنك تجرؤ .. هيًا .. افعل .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـ لست أهوَى عبث الأطفال .

استلَّ الشبيه مسدَّسه اللّيزرى ، وهو يقول فى غضب :

ـ أطلق أشعتك ، أو أقتلك أنا .

هزَّ (نور) كتفيه فى برود ، وقال :

ـ اقتلنى أنت ، لو أن هذا يرضيك .

صوَّب الشبيه مسدَّسه إلى رأس (نور) ، وهتف :

ـ نعم .. سأقتلك .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ لن تفعل أيها التافه .. اعلم تمامًا أنك لن تفعل .. فلو أنك تسعى لقتلى فحسب ، لأمكنك تحقيق ذلك منذ البداية .. إنك تسعى للحصول على نصر أسطورى ضخم .. نصر يتيح لك حقّ إمارة شياطين الجحيم ، الذين يرفضون سيادتك لهم ، على الرغم من أنك ابن كبيرهم ، بحجة أنك لست شيطانًا كاملًا .

بدا الغضب على وجه الشبيه ، و (نور) يستطرد بلهجته الساخرة :

ـ أنت بالنسبة إليهم نصف شيطان ، وبالنسبة إلينا نصف إنسان .. صدّقنى أيها التّعس .. لقد حكم عليك والدك بأن تحيا عمرك كله ضائعًا ، حائرًا ما بين البشر والشياطين .

صرخ الشَّبيه فى غضب ثائر :

ـ خطأ .. إننى شيطان .. شيطان كامل .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة أخرى ، وهو يقول :

ـ أتؤمن بذلك حقًا !!

وهنا خفَض الشبيه مسدَّسه ، وهتف فى مرارة :

ـ اقتلنى يا حفيد (أوزيريس) .. اقتلنى .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال فى صرامة :

ـ لن أطلق أشعة مسدَّسى على وَهْمٌ .. أنت مجرَّد وَهْمٌ .. وَهْمٌ ..

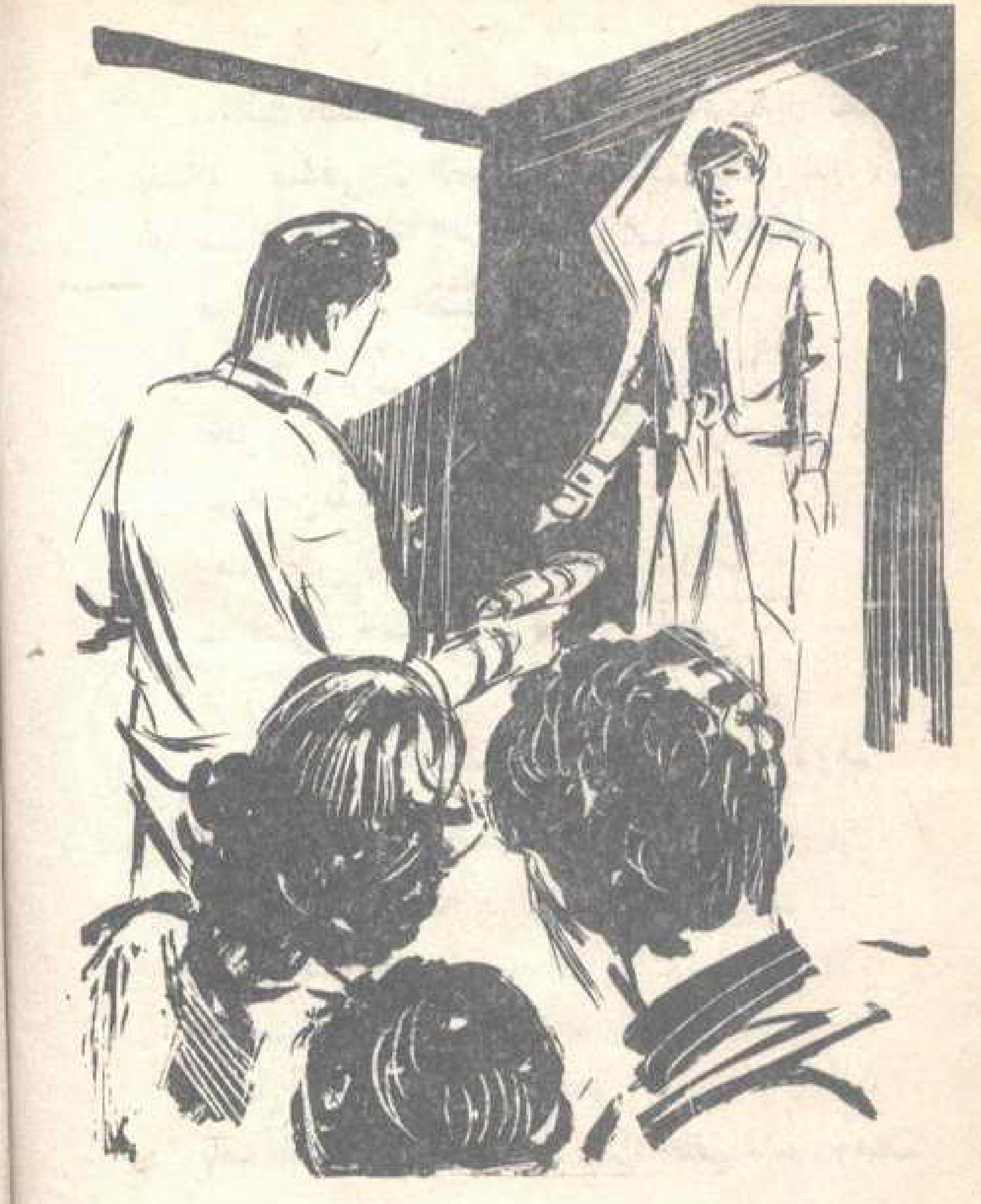
صرخ الشَّبيه :

ـ لست وهمًا .

هتف (نور) فى صرامة :

ـ بل أنت وَهْمٌ .. وَهْمٌ مَحْض .

وهنا تلاشَى الشَّبيه فى بطء ، حتى اختفى تمامًا ، وهتف (رمزى) مشدوهًا :



وهنا خفَضَ الشبيه مسدسه ، وهتف فى مرارة :

ـــ اقتلنى يا حفيد (أوزيريس) .

ـــ يا إلهى !!.. إنه وهْمٌ بالفعل .. لقد تصوَّرت أنه الشيطان الابن نفسه ، وقد تقمَّص شخصيتك .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وهو يقول :

ـــ اطمئن .. إنه لن يفعل هذا أبدًا .

وفجأة ، تَشبَّثت (سلوى) بذراع (نور) ، وهتفت فى ذُعر :

ـــ (نور) .. يا إلهى .. انظر .

التفت الجميع إلى حيث تشير ، ثم شهقوا فى دهشة ، عندما ارتفع صوت (ابن الشيطان) ، يقول :

ـــ أتَسخر مِنَ الوَهْم يا حفيد (أوزيريس) ؟

لم يكن مبعث دهشتهم ، وذُعر (سلوى) ، هو صوت (ابن الشيطان) أو عبارته ..

لقد كان ذلك الجسم ، الذى صدر عنه الصوت ..

لقد صدر عن جمجمة ، موضوعة فوق مكتب الدكتور (عزيز) ..

جمجمة اختفى تجويف عينيها ، وظهرت فيه عينا الشيطان ..

* * *

(نور) وَحْدَهُ لم يشعر بالدهشة أو الرُّعب ..

لقد فقد كل هذه المشاعر ، بعد كل ما واجهه فى تلك المغامرة ..

وفى هدوء ، التفت إلى الجمجمة ، وقال :

ـــ نعم .. أسخر من الوَهْم ؛ لأنه لا يؤذى أحدًا .

تحرَّكت فكَّا الجُمْجُمَة ، وانبعث من بينهما صوت الشيطان الابن ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ حافظ على سُخريتك منه إذن ، فعندما تكشف خطورته ، ستكون قد أصبحت مجرَّد جُثَّة هامدة .

وارتفع الصوت ، وهو يستطرد :

ـــ ستسقط ضحية وَهْم أيها الرائد .. وَهْم قاتل .

وفجأة ، تلاشى كل شىء مِنْ حَوْلِ (نور) ، ورأى نفسه يرتدى زيًّا فِرْعَوْنِيًّا ، ويمتطى إحدى عربات الحرب المصريَّة القديمة ، وينطلق بها نحو رجل يرتدى زيًّا مماثلًا ، ويمتطى عربة مماثلة ، وارتفع فى أُذُنَيْهِ صوت (ابن الشيطان) ، وهو يقول :

ـــ أنت الآن تعيش وهمًا من حياة سابقة أيها الرائد .. ولكنك إذا ما لقيت مصرعك فى الوَهْم ، فستكون هذه نهايتك فى عالم الحقيقة .. هيَّا .. قاتل .

ثم تلاشى صوت (ابن الشيطان) أيضًا ، وبقيت ساحة القتال الفرعونية ..

وفى هذه المرَّة كان الوَهْم قويًّا ، واضحًا .

بل كان حقيقة عجيبة ..

ورأى (نور) خصمه يندفع بعربته نحوه ، وهو يدس سهمًا فى وتر قوسه ، ويصوِّبه إليه ..

وبسرعة ، وبحركة غريزية ، سحب (نور) من كِنَانته(*) سهمًا ، ودسَّه فى وتر قوسه ، ثم أطلقه ..

كانت معركة حقيقية ، فى عالَم الوَهْم ..

معركة سيبقى بعدها منتصر واحد ..

(نور) ..

أو (ابن الشيطان) ..

* * *

(*) الكِنَانة : هى الجَعْبَة التى توضع فيها السهام ، على ظهر المقاتل .

٨ ـ عَبْرَ التاريخ ..

لم يُصِبْ سَهْم (نور) خصْمه ..

لقد تجاوزه ببضع سنتيمترات ، على حين أطلق الخصْم سهمه فِى إحكام ..

ورأى (نور) السهم يتجه إلى عنقه ، فانحنى فى سرعة ، وسمع أزيز السهم ، وهو يمُرق فوق رأسه ..

واعتدل (نور) مرّة أخرى ، والتقط رُمْحه ، وأدار نصْلَهُ الحادّ إلى الخلف ، والعربتان تندفعان نحو بعضهما البعض ..

وأصاب (نور) صدر خصْمه ، بظهر رُمْحه الخشبىّ ..

ودفعت الضربة الخصْم خارج عربته الحربية ، وأسقطته أرضًا ..

وهنا جذب (نور) عِنان جَوادَىِ العربة ، فصهلا فى قوّة ، وهما يتوقّفان دفعة واحدة ، وسط عاصفة من الرمال ..

وقفز (نور) من عربته ، واندفع نحو خصْمه ، الذى استلّ خِنْجَره ، ووقف يواجهه فى شراسة ..

ودار (نور) حول نفسه ، ثم قفز فى الهواء ، ودارت قدمه كالمروحة ، لتركل خصمَه فى وجهه فى قوّة ..

وسقط الخَصْم أرضًا ..

وقبل أن ينهض ، ركل (نور) خِنجَره بعيدًا ، ثم هَوَى على فكّه بلكمة ألقته أرضًا ..

وارتفع صوت صارم آمر يقول :

ـ كَفَى .

توقّف (نور) واعتدل ..

كان لسبب ما ـ لا يدرى كُنْهَهُ ـ يعلم أن عليه طاعة صاحب الصوت ..

ولسبب آخر يجهله ، اتجه نحو مصدر الصوت ، ورأى أمامه رجلًا مَهِيبًا ، يجلس فوق عرش من الذهب الخالص ، حاملًا مفتاح الحياة الفرعونى ، ومرتديًا تاج الوجهين ، الذى تطلّ من منتصفه تلك الحية الذهبية (أرايوس) ، حامية الملوك ..

وبصوت هادر واثق قوىّ ، قال (نور) :

ـ سلام على فرعون العظيم .

ابتسم الفرعون ، وقال :

ـ سلام يا (أوزيريس) .. لقد ربحت معركتك .. وانتصرت على (ست) .

(ست) ؟!

إذن فخصمه هذا هو غريمه اللُّدود ..

هو (ابن الشيطان) .. نفسه ..

واستدار في سرعة ليرى خَصْمَه ..

ولكن الأرض مادَت به ، وأحاط به ظلام مخيف ، و .....

فجأة ، وجد نفسه في حفل فرعوني قديم ..

وأمامه كان يجلس (ست) ، تحيط به الجواري الحسان ..

وفي منتصف القاعة كان هناك تابوت فرعوني قديم ..

ونهض (ست) من مكانه ، واقترب منه ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ تُرى ، هل يناسبك هذا التابوت ، يا أخي (أوزيريس) ؟

قال (نور) في صرامة :

ـ لست أظنه يناسبني يا (ست) .

ابتسم (ست) في خُبث ، وقال :

ـ لم لا تجرِّبه ؟. تعالَ .. ستجده مناسبًا لك تمامًا ..

كانت الأسطورة تقول إن (أوزيريس) سيرقد في التابوت ..

وكان (نور) يشعر برغبة جارفة في أن يفعل ..

ولكن إرادته قاومت رغبته في عنف ..

وهزمتها ..

وهتف (نور) في صرامة :

ـ لا يا (ست) .. لن أرقد داخله .

هتف (ست) في حَنَق :

ـ ماذا تقول ؟.. من المستحيل تغيير التاريخ .

قفز (نور) يلتقط مِشْعَلًا ، وهو يهتف :

ـ مَنْ قال هذا ؟

وبكل ما يملك من قوّة ، دفع المِشْعَل ونيرانه في وجه (ست) ، و .....

واختفت الصورة بغتة ..

اهتزَّت كما لو أنها على سطح مياه ..

ثم أظلمت الدنيا ..

وشعر (نور) أنه يَهْوِى في بئر عميقة ..

في بئر لا قرار لها ..

وفجأة ، توقَّف السقوط ..

وكان ذلك فى زمن آخر ، ومكان آخر ..

كان فى هذه المرَّة قائدًا رومانيًّا ، يَعْبُرُ رَدْهَةَ قصر مُنيف ، ليقف أمام عرش ضخم ، يجلس فوقه رجل بدين ، يضع فوق شعره الأشقر الذهبىّ إكليل الغار ، وسمع نفسه يقول فى صوت جَهْوَرِىّ قَوِىّ :

ــ تحية لـ (نيرون) العظيم ..

إنه إذن أمام (نيرون) ..

(نيرون) الرومانىّ الوحشىّ ..

نيرون الذى أحرق (روما) (*) ..

إنه أحد قواده ..

(*) (كلاوديوس قيصر نيرون) : (٣٧ ــ ٦٨ م) ، إمبراطور رومانى ، تبنَّاه الإمبراطور (كلاوديوس) بعد أن أغرته زوجته (أجريبينا) ، على ذلك ، ولقد خلف (نيرون) أباه المتبنى ، على عرش (روما) ، واتسَّم عهده بالوحشية والقسوة ، ولقد قتل أمه وزوجته (أوكتافيا) ، تحت تأثير عشيقته (بوبايا سابينا) ، وبعدها حرق روما (٦٤ م) ، واتهم المسيحيين بحرقها ، وبدأ فى اضطهادهم ، وفى أواخر أيامه ، ثار حكَّام ولاياته ضدَّه ، ففرَّ إلى منزله الريفىّ ، وانتحر هناك .

كم ودَّ لو بصق فى وجهه ، ولكن مسار التاريخ كان يجبره على أن يقول :

ــ ألف تحية لإمبراطورنا العظيم .

رفع (نيرون) كفَّه البضَّة ، لردّ تحية قائده ، فى تكاسُل وغطْرسَة ، وقال فى صرامة :

ــ اسمع يا (ديــوس) .. أبلغنــى مستشارى المخلص (سابينا) ، أن المسيحيين يثيرون الكثير من الاضطرابات فى (روما) .

قال (نور) فى قوَّة :

ــ مخطئٌ هو (سابينا) ، لو أنه يظن ذلك .. المسيحيون قوم مسالمون للغاية ، ودينهم يحضُّ على ذلك .

التفت (نيرون) إلى جواره ، وقال :

ــ ما رأيك يا عزيزى (سابينا) ؟

برز من خلف العرش شابٌّ وسيم ، ذهبىَّ الشعر ، لم تكد عينا (نور) تلتقيان بعينيه الناريَّتين ، حتى اعتصرت قبضته مقبض سيفه فى قوة ، وكاد ينتزعه من غِمْدِه ..

لقد كان (سابينا) هذا هو (ابن الشيطان) ..

وفى لهجته الساخرة ، قال (سابينا) :



كم ودَّ لو بصق فى وجهه ، ولكن مسار التاريخ كان يجبره على أن يقول :
ـ ألف تحية لإمبراطورنا العظيم .

ـ قول قائدنا العظيم (ديوس) يخالف ما لدىَّ من معلومات أيها الإمبراطور العظيم ، ويخالف أيضًا ما جلبته لك ابنتى المحبوبة (بوبايا) ، من أن المسيحيين قوم أشرار .

وجد (نور) نفسه يهتف :

ـ لا تستمع إليه يا مولاى .. إنه كاذب .

ابتسم (سابينا) فى سُخرية ، على حين هتف (نيرون) فى غضب :

ـ كيف تتَّهم مستشارى الأوَّل بالكذب أيها القائد ؟

استلَّ (نور) سيفه ، وهو يهتف :

ـ لأنه كذلك بالفعل .

وفجأة ، اهتزَّ المشهد ، وتلاشت الصُّوَر ..

وفجأة أيضًا ، وجد (نور) نفسه فى مشهد آخر ..

كان يقف مع (نيرون) و (سابينا) ، فى شرفة قصر هذا الأخير ..

وكان (سابينا) يقول للإمبراطور ، وهو يشير إلى (روما) .

ـ احرقها يا مولاى .. احرقها واتَّهم المسيحيين بحرقها ، فتمتلك الحُجَّة لتُنَكِّلَ بهم شر تنكيل ..

صاح (نور) فى غضب :

ـ خسئت يا (سابينا) .. إنك تسعى لتدمير (روما) ، انتقامًا من فشلك فيها ، ومن سُخرية أهلها منك ، ومن ابنتك العاهرة .

حافظ (سابينا) على ابتسامته الساخرة ، على حين هتف (نيرون) فى غضب :

ـ صَهْ يا (ديوس) .. مَنْ سمح لك بإهانة مستشارى الأوَّل ، وسَبِّ أفضل نساء قصرى أمامى ؟

هتف (نور) :

ـ مولاى .. هذا الرجل شيطانِىّ .. إنه يسعى لدفعك إلى الجحيم ، حيث يتلقَّفك والده ظافرًا ..

هتف (نيرون) مُحنَقًا :

ـ أىّ هُرَاء هذا يا (ديوس) ؟.. هل عاودتك تلك الأوهام ؟..

راحت الكلمة الأخيرة تتكرَّر طويلًا ، كرجع الصَّدى ، والمشهد يتبدَّل فى سرعة ، حتى تألق بنيران متأجِّجة ، يُطِلّ عليها (نيرون) من شرفة قصره ، وهو يعزف على قيثارته فى هدوء ، وإلى جواره (سابينا) يبتسم فى ظَفَر ..

لقد كانت (روما) تحترق ..

وفى غضب ، هتف (نور) :

ـ لقد فعلتَها يا (سابينا) .. فعلتَها .

وانقضَّ على (سابينا) ، وحمله عاليًا ، وهو يهتف :

ـ فلتشارك (روما) لهيبها إذن ..

ودوَّت صرخة مخيفة فى أذنى (نور) ، وعاد يَهْوِى فى تلك البئر السحيقة المظلمة ، التى لا قرار لها ..

ومرَّة أخرى ، توقَّف السقوط ..

وفى هذه المرَّة كان المشهد الجديد عبارة عن قاعة أنيقة ..

قاعة اختفت جدرانها خلف عدد من الخرائط المتعدِّدة ، باللُّغة الألمانية ..

وكان (نور) يقرأ تفاصيل الخرائط فى بساطة ..

فى كل مشهد كان يتحدَّث لغة أهل المشهد والعصر بسلاسة ، كما لو كان واحدًا منهم ..

وفى هذه المرَّة كان يرتدى زيًّا عسكريًا ألمانيًّا ، وإلى جواره وقف شاب أشقر ذهبِىّ الشعر ، يطلُّ من عينيه لهيب مستعر ، وإلى جوارهما وقف رجل قصير ، له نظرات حادَّة مركَّزة ، وشارب قصير صغير ..

كان (أدولف هتلر) بنفسه (*) ..

وكان يشير إلى نقطة على الخريطة ، قائلًا فى صرامة :

ــ هل تعتقد أنه من الضرورىّ أن نهاجم (روسيا) ، يا عزيزى (جوبلز) ؟

كان يوَجّه حديثه إلى الشاب الأشقر ، الذى لم يكن سوى (ابن الشيطان) نفسه ، والذى قال مبتسمًا :

ــ بالطبع أيها الفوهلر ، فالرُّوس يرفعون درجات استعدادهم فى الفترة الأخيرة ، وما داموا لا ينوون خوْض الحرب فى أوروبا ، فهذا يَعْنِى أنهم يُعدُّون العُدَّة لغزونا ، والأسلوب الأمثل ، الذى ابتدعته فخامتك ، هو أن الهجوم خير وسيلة للدفاع .

أومأ (هتلر) برأسه موافقًا ومستحسنًا ، فعقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

(*) (أدولف هتلر) : (١٨٨٩ ــ ١٩٤٥ م) ، دِكتاتور ألمانىّ ، وزعيم الحزب النازىّ ، ومؤسس الرايخ الثالث .. اشترك فى الحرب العالميّة الأولى ، ثم نظم الحزب النازى (حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى) ، وأصبح رئيسًا للوزراء فى يناير (١٩٣٣) ، ثم رئيسًا للجمهورية (١٩٣٤) ، وانتهت سياسته إلى إشعال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) وانتحاره .

ــ خطأ أيها الفوهلر .. الرُّوس لا يفكّــرون قطُّ فى مهاجمتنا ؛ لأن قوّتهم ، على الرغم من استعداداتهم ، لم تبلغ بَعْدُ الحدَّ الكافِىَ لِذَلِك ، والأفضل أن نبــادر بمهــاجمة (بريطانيا) ، بعد أن خسرت معظم أسطولها البحرى ، بفضــل غواصاتنــا ، وأصبحت أضعف من أن تصد غزْوًا مركّزًا منا .

لوّح (جوبلز) بذراعه ، هاتفًا :

ــ وماذا لو أن الرُّوس قد هاجمونا ، ونحن ندير ظهورنا لهم ؟.. كلَّا .. الأسلوب الأمثل هو أن نباغت الرُّوس ، ونأمن جانبهم أوَّلًا .

هتف (نور) :

ــ ولماذا نُوقظ دُبًّا نائمًا ؟.. إننا نرتبط مع الرُّوس ، حتى الآن ، باتفاقية دفاع مشترك ، و .....

قاطعه (هتلر) فى حزم :

ــ كَفَى يا (هانز) .. إننى أميل إلى رأى (جوبلز) .. سنهاجم (روسيا) أوَّلًا ، وسنطلق على خُطَّة غزْوِها اسم (بارباروسا) ، و ......

وتشوَّشت الرؤية ، وتلاشت الأصوات تدريجيًّا ..

ثم برز (نور) فى مكان آخر ..

كان يجلس حول مائدة خشبية مستديرة ، مع خمسة من الجنرالات ، داخل حجرة صغيرة ، سيئة التهوية ، وكان أحدهم يقول فى غضب :

ــ هذا المجنون سيُودى بنا .. أرأيتم ما فعله فى (روسيا) ؟.. لقد أمر جيشنا هناك بإيقاف القتال ، بعد أن صاروا على مسافة ستة كيلومترات من (موسكو) ، ولقد منعهم من دخول العاصمة الروسية ، على الرغم من أن الشتاء على الأبواب ، ولولم يدخل رجالنا (موسكو) الآن ، فسنخسر الحرب كلها .

غمغم (نور) :

ــ هذا صحيح .. سنخسر الحرب لهذا السبب .

التفت إليه أحد الجنرالات ، وقال مُحْنَقًا :

ــ أتعلم أن ذلك الملعون (جوبلز) هو السبب ؟.. يقولون إنه هو الذى يشير إلى الفوهلر بكل شىء ، وهذا المجنون يثق فى آرائه بشدِّة .

ضرب جنرال آخر المائدة بقبضته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لابدَّ من اغتيالهما معًا .

صاح ثالث فى مرارة :

ــ كيف ؟

قال الجنرال الأوَّل فى حماس :

ــ إنهما سيجتمعان معًا غدًا ، فى دار المستشارية ، ولو أننا دسسنا قنبلة زمنية هناك ، فقد يمكننا التخلُّص من كليهما بضربة واحدة .

حاول (نور) أن يخبرهم أن تلك الخُطَّة ستفشل ، كما ذكرت كتب التاريخ ، إلَّا أن دافعًا قويًّا جعله يصمت ، وقد أدرك أنه ما من فائدة من محاولات تغيير التاريخ ..

وفجأة ، سمع أحدهم يهتف :

ــ (هانز) سيحضر ذلك الاجتماع أيضًا .

التفتت العيون كلها إليه ، وقال أحد الجنرالات فى دهشة :

ــ أحقًّا ؟!

غمغم (نور) :

ــ نعم .. سأحضر الاجتماع ، وسأحمل القنبلة معى ، ولكن ......

هتف أحدهم فى غضب :

ــ ولكن ماذا ؟

تنهّد (نور) ، وقال :

ـــ لا شىء .. سأنفّذ ما تتفقون عليه .

ومرّة أخرى تلاشت الصُّوَر ، وخفتت الأصوات ..

ومرّة أخرى أيضًا ، عادت صورة جديدة تتكوَّن ..

كان (نور) هذه المرّة داخل زنزانة رطبة باردة ، يرتدى أسمالًا ، كانت ذات يوم زيًّا عسكريًّا أنيقًا ..

وَعَبْرَ قضبان زنزانته ، رأى (جوبلز) يقترب ، ويتطلّع إليه ساخرًا ، بعينيه الشيطانيتين الناريّتين ، ثم يشير إلى الحارس ، فيسرع هذا الأخير بفتح باب الزنزانة ، حيث يدلف (جوبلز) ، ويبتسم فى شماتة ، قائلًا :

ـــ ها نحن أولاء نلتقِى مرّة أخرى يا عزيزى (هانز) .

قال (نور) فى جِدّة :

ـــ وفى زمن جديد هذه المرّة .

أطلق (جوبلز) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـــ ولكن فى هذه المرّة انتصرت أنا يا عزيزى (هانز) .

ثم أخرج مسدّسه ، وصوّبه إليه ، مستطردًا فى سُخرية :

ـــ لقد أمرنى الفوهلر بإعدامك فى زنزانتك .

قال (نور) فى غضب :

ـــ إنك تقود فوهلرك هذا إلى حتفه ..

أطلق (جوبلز) ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ـــ بل إلى الجحيم .. إلى حيث ينتظره أبى .. إلى حيث ستذهب أنت وضغط زناد مسدّسه ..

وأطلق النار على رأس (نور) ..

* * *



٩ ـ الهزيمة ..

قفز (نور) ليتفادى رصاصة (جوبلز) ، ولكنه وجد نفسه يَهْوِى فى تلك البئر العميقة ..

وَيَهْوِى ..

وَيَهْوِى ..

وبدا له أنه يسقط هذه المرَّة بلا نهاية ..

ثم أتت النهاية بغتة ..

أتت بسقوطه على أرض منزل الدكتور (عزيز) ..

لقد عاش أخطر رحلة وَهْم فى حياته ..

رحلة عَبَرَ فيها كلَّ الأجساد ، التى احتلَّتها روحه ، فى حيوات سابقة ..

وهتفت (سلوى) فى لوعة :

ـ (نور) .. أأنت بخير .

أشار إليها الدكتور (عزيز) فى صرامة ، قائلًا :

ـ اتركيه .

تراجعت مستسلمة ، وإن انفطر قلبها حزنًا ، وهى تتطلع إلى شُحُوب وجهه ، قبل أن يرتفع صوت ساخر ، من كل جدران المنزل ، يقول :

ـ ما رأيك الآن يا حفيد (أوزيريس) ؟

غمغم (نور) فى إعياء :

ـ حفيد (أوزيريس) ؟!.. إننى لم أعُدْ أدرى حتى مَنْ أنا .

ردَّدَت الجدران ضحكة (ابن الشيطان) الساخرة ، قبل أن يقول :

ـ هل تعترف الآن بتفوُّق ؟

غمغم (نور) فى تهالك :

ـ لم أعُدْ أملك سوى ذلك .

هتف الشيطان الابن فى ظَفَر :

ـ إذن فأنت تعترف بانتصارى .

غمغم (نور) :

ـ نعم .. إننى أعترف .

وهنا ردَّدت الجدران صيحة هائلة ، انتزعت الجميع من أماكنهم ، وألقتهم أرضًا ، مع رياح ساخنة مخيفة ، وزوبعة من

الرمال الكثيفة ، دارت وسط الحجرة فى قوّة ، قبل أن تنقشع ، ويظهر هو ..

ظهر (ابن الشيطان) ..

تجسد أخيرًا أمام خصومه ..

وفى هذه المرّة ، كان يشعر بمزيد من القوّة ..

كان يرتدى رداء الشمس ، الذى يحجب عنه النّيران ، مهما بلغت قوتها ، ومهما استَعَرَ لهيبها ..

وفى شماتة ، عقد ساعديه أمام صدره ، قائلًا :

ـــ الآن فقط ستموت أيها الآدمى .. الآن فقط ستلحق بأجدادك ، بعد أن ذقت الهزيمة ، على يد (ابن الشيطان) .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة عالية ، أدهشت الشيطان الابن ، فراح يصرخ فى غضب :

ـــ الآن ستموت .. ستموت .

ثم اتجهت يداه نحو كتفى (نور) ، الذى توقّف عن ضحكاته الساخرة بغتة ، يقول متهكّمًا :

ـــ ألا ترغب حتى معرفة سرّ ضَحِكَاتِى ؟

هتف الشيطان الصغير :

ـــ كلّا .. لم يَعُد ذلك يهمُّنى .

نهض (نور) فى هدوء ، وقال بابتسامة ساخرة :

ـــ عجبًا !!.. ولكن هذا يقلب كل موازينك رأسًا على عقِب .

تردَّد (ابن الشيطان) لحظة ، وأعاد كفَّيه إلى جواره ، ثم عاد يرفعهما ، هاتفًا :

ـــ أنت تحاول أن تخدعنى .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة قويّة ، وهو يقول :

ـــ ولكننى خدعتك بالفعل .

هتف (ابن الشيطان) فى غضب :

ـــ لا تحاول .. لقد هزمتك .

عقد (نور) حاجبيه بغتة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ أخطأت أيها الحقير .. بل أنا هزمتك .

هتف فى غضب :

ـــ أنت ؟!. أنتَ تهزمنى ، أيها الآدمىّ ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـــ نعم أيُّها الجهنمىّ .. نعم يا مبعوث الجحيم .. أنا سأهزمك ، مثلما هزمك جَدِّى ، ومثلما هزمك كل أجدادى .. لقد كنت أعلم أنك ستعود .. وأنك ستواجهنى حتمًا ، عندما تتصوَّر أنك قد هزمتنى .

صرخ (ابن الشيطان) :

ــ هذا ليس مجرّد تصوُّر .. لقد هزمتك بالفعل .

قال (نور) فى صرامة :

ــ على العكس أيها الحقير .. أنا هزمتك ، عندما أجبرتك على الظهور أمامى .

أشار (ابن الشيطان) إلى ردائه الذهبىّ ، صائحًا :

ــ أأنت أعمى يا حفيد (أوزيريس) ، أم أن أمر هذا الرِّداء لم يبلغك بعد ؟.. إنه رداء نادر خاصّ يتيح لى السباحة فى قلب الشمس نفسها ، دون أن يمَسّنى سوء .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وقال :

ــ وهذا ما أخطأت فيه أيها الوغد .

غمغم (ابن الشيطان) فى اضطراب :

ــ أخطأت ؟!

أجابه (نور) فى سُخرية :

ــ نعم .. أخطأت .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ــ لقد كنت تهزمنا طِيلة الوقت؛ لأنك كنت تلعب بقواعدك التى تتحدّى كل معلوماتنا ، وكل قواعدنا العلمية ، وكان هذا يمنحك نقطة تفوُّق بالغة القوَّة ، فأنت تفهم كل أسلحتنا ، على حين نجهل نحن كل أسلحتك .

وابتسم ابتسامة ساخرة ، مستطردًا :

ــ ولكنك فجأة ، وحتى تستطيع مواجهتى فى لحظة هزيمتى ، وحتى تمنعنى من إطلاق النيران عليك ، لجأت إلى اختراع أرضىّ قُحّ ، وفى هذه الحالة ، أعدت أنت إلينا زمام القوة ، وانتقلت لتكمل المباراة فى ملعبنا ، وبقواعدنا نحن ، وفى ظل هذه الظروف نصبح نحن الأقوى .

ومال نحوه ، مردفًا بمزيد من السُّخرية :

ــ صحيح أنك ترتدى زيًّا لا تخترقه النيران أبدًا ، ولكن فى عصرنا هذا ، ومع تقدُّمنا التكنولوجى ، لم تعد النيران هى الوسيلة الوحيدة للإحراق .

اتسعت عينا الشيطان الابن فى هَلَع ، وهو يقول :

ــ ماذا تعْنى ؟

رفع (نور) يده ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أعْنِى هذا .

ثم هبط بيده فى حزم ، فضغطت (سلوى) زِرّ جهاز صغير ، وانطلقت فى الحجرة صرخة مدوِّية ..

صرخة شيطان يحتضر ..

* * *

١٠ ـ الختام ..

اندلعت ألسنة اللهب داخل رداء الشمس ، واتسعت عينا الشيطان الابن هلعًا وألمًا ، وراح يصرخ :

ـ كيف ؟.. كيف فعلتها ؟

أشار (نور) إلى الجهاز الصغير ، الذى ضغطت (سلوى) زِرَّه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ المَوْجات فوق الصوتية فائقة التردُّد أيها الوغد .. إنها تخترق كل شىء ، وترفع درجة اهتزازاته ، إلى درجة الاحتراق .. إنها تستخدم بكثرة فى عصرنا هذا ، فهم يستخدمونها لحفر الآبار والمناجم ، ولإشعال النيران ، وحتى لعلاج بعض أمراض المخ ..

كان اللهب يلتهم الشيطان الابن فى سرعة ، على حين صمت (نور) ، وصمت الجميع ، وهُمْ يتطلّعون إلى عينى الشيطان الصغير ، وقد خَبَا لهيبهما ، قبل أن يستطرد (نور) :

ـ أنت قتلت نفسك .. أعماك الله (سبحانه وتعالى)

عن رؤية الحقائق .. أنت تخلَّيت عن قوتك ، ومنحتنا قوتنا .. لقد أدركت هدفك تمامًا ، بعد أن علمت بأمر مهاجمتك لمؤسسة الأبحاث الفضائية ، وسرقتك لِرِداء الشمس ، ولقد استخدمت (سلوى) كل المعلومات عن (رداء الشمس) ؛ لتدفع جهازها إلى إطلاق ذبذبة خاصَّة ، قادرة على حرق جسدك ، بعد اجتيازها الرِّداء ..

اتسعت عينا (ابن الشيطان) فى مرارة وألم هائلين ، و (نور) يستطرد :

ـ لقد خسرت أيها الشيطان الصغير .. خسرت كل معاركك ..

هتف الشيطان الابن فى ثورة :

ـ سأعود .. سأعود .

ثم خَبَا اللهيب ، وسقطت حُلَّة الشمس ، وتكوَّمت خالية على الأرض ، فاتجه إليها (نور) ، وانحنى يلتقطها ، ثم فتحها ، والتقط من داخلها ذلك القرص المعدنىّ الملعون ، ودسَّه فى جيبه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ أخطأت هذه المرَّة أيضًا أيها الملعون .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ فى هذه المرَّة لن تعود .

وأدار عينيه فى عيون الجميع ، قبل أن يُردف فى حزم :

ــ لن تعود أبدًا ..

* * *

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وهو يتناول قطعة كعك مزدانة بالحلوى ، من بين أصابع (نور) ، قائلًا :

ــ فكرة طريفة أن تعيد حفل الاحتفال بشفاء زميلك ، بعد القضاء على ذلك الملعون يا ولدى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ بل هو حفل التخلُّص منه فحسب .

قال الدكتور (حجازى) فى قلق ، وهو يتطلَّع إلى رفاق (نور) ، الذين انهمكوا فى حوار مرح :

ــ ولكن ألا يحتمل أن يعود مرَّة أخرى يا (نور) ؟

قال (نور) فى مَرَح :

ــ الاحتمال لن يتجاوز الواحد فى كل مائة مليار .

هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ــ كيف ؟ ؟.. إن وجود ذلك القرص الملعون ، فى أيَّة نقطة على سطح الأرض ، يجعل العثور عليه ممكنًا ، وبالتالى يجعل عَوْدة ذلك المخلوق البشع محتملًا .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ــ اطمئنّ يا سيِّدى .. لن يعود .

ثم التفت إلى رفاقه ، هاتفًا :

ــ استمعوا إلىَّ يا رفاق ، سنشاهد معًا الآن حدثًا جَلَلًا .

وفتح الشُّرفة على مصراعيها ، ثم أشار إلى السماء ، قائلًا :

ــ أترون تلك النقطة المضيئة ، التى تبتعد هناك ، وتنطلق نحو النجوم ؟

قال (رمزى) :

ــ نعم .. نراها يا (نور) ، وأنا شخصيًّا أعلم ما هى ، فهى عبارة عن قمر صناعىٍّ جديد ، يحمل آلة تصوير كونية نادرة ، ومهمَّته هى أن ينطلق نحو أقرب ثقب أسود لمجرَّتنا ، ويخترقه ، لينقل ما يحدث خلفه .

ابتسم (نور) ، قائلًا :

ــ هذا صحيح .. ولكن .. أتعلم كم تبلغ احتمالات عودته ؟

أجابه (محمود) هذه المرَّة ، قائلًا :

— أظنُّها واحدًا إلى كل مائة مليار يا (نور) .

لم يكد الدكتور (حجازى) يسمع الرقم ، حتى هتف :

— يا إلهى !!.. (نور) .. أكنت تقصد هذا ؟

هتف (نور) فى مَرَح :

— نعم أيها السادة .. لقد أصبح القمر الصناعىُّ يحمل آلة التصوير الكونية ، بالإضافة إلى ذلك القرص الملعون ، الذى سينتقل مع شروره إلى ما وراء الثقب الأسود ..

وتهلّلت أساريره ، وهو يستطرد فى سعادة :

— وبهذا تنتهى تلك الجَوْلَة .. جولة الشيطان الأخيرة ..

* * *

فى تلك الليلة ، استغرق (نور) فى نوم عميق ..

نوم لم ينعم به منذ بدأ ذلك الصِّراع الرَّهيب ..

وفى تلك الليلة رأى نفسه يسير فى منزل جَدِّه الريفىِّ ..

ورأى نفسه يدلف إلى حجرة المكتب ..

وفى هذه المرَّة لم تكن الحجرة خالية ..

كانت مرتَّبة أنيقة ..

وكان هناك مكتب ضخم ، من طراز أثرىّ عتيق ..

وخلفه كان يجلس جَدُّه ..

وبابتسامة مشرقة ، نهض الجَدُّ يصافحه ، وهو يقول فى صوت عميق :

— مبارك يا ولدى .. لقد انتصرت عليه .

غمغم هو فى حُلْمه :

— أنت صاحب الفضل فى ذلك يا جَدّى .. أنت قُدْتنى إلى الحلّ ..

ابتسم الجدّ ، وهو يقول :

— بل أنت المنتصر يا ولدى .. لقد منحتك أنا السلاح فحسب ، ولكنك أنت استخدمته فى براعة قادتك إلى النصر .

سأله فى قلق :

— ولكن قُلْ لى يا جَدّى .. أتظُنّ أنّه سيعود ؟

هزَّ الجَدّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كلَّا يا حفيدى .. ليس فى حضارة الأرض الحالية .

هتف فى دهشة :

— حضارتها الحاليـــة ؟!.. أكانت هنـــاك حضارات سابقة ؟!

ابتسم الجَدّ ابتسامة واسعة ، وقال :

ـ لا تبحث عن كل أسرار الكون دفعة واحدة يا ولدى .. هيًا .. عُدْ إلى فراشك ، وانعم بنومك ، فأنت اليوم منتصر .

نعم .. لقد انتصر (نور) ..

انتصر للبشرية كلها ..

وفاز ..

فاز فى حربه مع (ابن الشيطان) ..

فاز فى (الجولة الأخيرة)

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥